دراسات في الادب المقارن

بقلم امل امين زكي

* * *

لم يكن للسرقة الادبية Plagiarism في الادب الاوربي في العصور المتقدمة اهمية تذكر كالتي نعرفها اليوم ، وفي واقع الحال ، لم يكن لجريمة السرقة الادبية وجود في العصور الوسطى بل كان الشعراء والادباء والقصاصون يأخذون ما يظنون انهم بحاجة اليه وبدون اي تردد من اي كاتب آخر ويستعملون المواضيع المطروقة والاقاصيص التي تجري على كل لسان فيضعونها باسلوبهم الخاص وتصبح ملكا لهم ولم يوجه اليهم اي شخص لوما أو تثريبا . واسطع مثال على ذلك هو « جوسر » ابو الشعر الانكليزي فد تأثر تأثرا كبيرا ، في بداية حياته الشعرية وفي الفترة المعروفة باسم « النترة الفرنسية » بمن سبقه من شعراء الفرنسية واستعان بهم واستعار منهم خاصة في قصيدته « كتاب الدوقة » حين رثى « الدوقة بلانش اوف لانكاستر » فكانت اوصافه واستعاراته وتشبيهاته فرنسية بحتة وكأنها كتبت بأقلام استاذيه الفرنسيين غليوم دي ماشو وغليوم دي لوريس . وقد استمر الادباء الاوروبيون على هذه العادة الى ما بعد العصر الاليزابيثي ، فهذا شكسبير نفسه استعار مواضيع معظم مسرحياته من قصص كانت معروفة لدى اكثرية الناس او اكثرية الطبقة المثقفة من الناس كما في « هاملت » و « عطيل » ومعظم مسرحياته ، التاريخية منها والعاطفية .

واما بالنسبة للادب العربي فقد عرف النقاد العرب السرقة الادبية منذ وقت متقدم وهاجمها واستهجنها بعضهم وحاول البعض الاخر السكوت عنها او تفسيرها بما لا يجعل العمل بحد ذاته شيئا بغيضا .

عالج الدكتور مصطفى الصاوي الجويني في مقال له بعنوان « السرقات الادبية » في مجلة « العربي » الكويتية الغراء آراء المتقدمين فيما يسمى بالسرقة الادبية في الشعر العربي وقال فيما قال ان نقاد القرن الرابع الهجري هم احسن من كتب في هذا الحقل امثال الجاحظ وابن طباطبا والقاضي ابي الحسن الجرجاني والآمدي وان من كتب بعدهم في القرن الخامس لم يفعل سوى التكرار ولم يصل الى ما وصلوا اليه من الرفعة في مجال النقد . وقد اوجز السرقة بنظر الجاحظ في ان « كل صورة جزئية او معنى بديع مخترع عرضة اما للتناهب ، واما للاستعانة والاستمداد ، اللهم الا التصوير الفرد الذي يتحاماه غير صاحبه من الادباء » (١) . واما بالنسبة الى ابن طباطبا فهو لا يجد غضاضة في الاستعارة من الغير ولا يطلق على اقتباس الفكرة وتحويرها صفة السرقة وانما يقول « تناول المعاني المسبوقة ليس سرقة ، وانما هو اخذ لا يعاب . » (٢) ويقول الدكتور مصطفى الصاوي الجويني بهذا الخصوص : « على انه لم يؤخذ في الاعتبار في بحث مثل هذا الموضوع ، جوانب لها اهميتها ، منها جانب التلمذة ، وان كل معاصر او محدث هو ، بصورة ما ، امتداد لقديم بشكل من الاشكال . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان جوانب التأثر والتأثير في الحقل الادبي لا يمكن تجنبها ، سواء بالتلقي عن عصور سبقت او بالمعاصرة . وفي هذا الشأن فان الشاعر او الاديب عموما حين يتتلمذ على استاذ اديب او شاعر تجده يقلده ويتكيء على افكاره وعلى صوره وأساليبه ، حتى تستوي شخصيته الادبية ويستغني عن التعلق بغيره » (٣) .

ويعرف قاموس اكسفورد الانكليزي لفظة Plagiarism او السرقة الادبية بما يلي (٤) :

«The taking and using as one's own of the thoughts, writings, or inventions of another».

اي « ان يأخذ الشخص افكار او كتابات واختراعات غيره وان يستعملها كملكه الخاص . »

واما المرحوم الدكتور اسماعيل ادهم فيقول « ان كل اثر فني يقوم على ما فيه من الاحساسات والمشاعر والافكار ، وهذه المواد انسانية ملك للمجموع البشري . وهي في ظهورها في آثار الفنان تأخذ لها طابعا شخصيا ، ذلك الطابع هو الذي يعطي لفن الفنان ذاتيته ويميز فنه عن فن غيره . فمن هنا لنا ان نحكم بانه ليس في قاعدة الفن ما يمنع ان يستعين فنان بأفكار فنان غيره أو احساساته ومشاعره عن طريق الاستحالة لها . ذلك ليخلص ببناء فني جديد . اما الشيء الذي لا يتفق مع قاعدة الفن فهو سوق الاحساسات والمشاعر والافكار تختال في التشابيه والكنايات والاخيلة الخاصة بفنان اخر ، ذلك ان اصالة الفن وابداعه قائمان على الاخيلة والمجازات وهي ملك شخصي له ، وهي ذاتية يستنزلها الفنان من محنة وجدانه . » (٥)

امامنا الان كتابان مشهوران احدهما قصة من تأليف المرحوم ابرهيم عبد القادر المازني هي « عود على بدء » والاخر مسرحية « مصير صرصار » تأليف توفيق الحكيم ، ونود ان نقوم هنا بدراسة هذين الكتابين على ضوء مقالة الدكتور مصطفى الصاوي الجويني وعلى ضوء التعاريف الاخرى التي قدمناها اعلاه لنرى اين يقف هذان المؤلفان (بفتح اللام) بالنسبة الى تقسيمه وشرحه واين يقف توفيق الحكيم وابرهيم عبدالقادر المازني من التعاريف السابقة . وحاشا ان يكون الغرض من هذه الدراسة التجني على فحول الادب العربي الذين طالما متعونا

بانتاجاتهم الادبية الرائعة في فترة لمعت بها اسماء أشهر كتابنا ومترجمينا في كافة الحقول الادبية وكان اسماهما يترددان في جميع المجلات الادبية وعلى السنة المثقفين اطلاقا ، وانما هي ملاحظة عابرة لما لمست من تشابه بين مسرحية « مصير صرصار » لتوفيق الحكيم وقصة فرانزكافكا « استحالة «Metamorphosis» » وبين قصة « عود على بدء » وقصة « العكس بالعكس Vice Versa» تأليف ف. أنستي . (٦)

ظهرت قصة « العكس بالعكس » لاول مرة باللغة الانكليزية في حزيران من عام ١٨٨٢ واحدثت ضجة مضحكة آنئذ واعيد طبعها عدة مرات منذ ظهورها حتى يومنا هذا . وملخص القصة آنفة الذكر هي ان والدا محترما من طبقة التجار الانكليز المحافظين جاوز الخمسين من عمره كان جالسا في مكتبته في انتظار سيارة الاجرة التي ستقل ولده الذي لا يزيد عمره على الثلاثة عشر عاما ، الى مدرسته بعد انتهاء عطلة عيد الميلاد . وحصل ان كان لديه حجارة سحرية جلبت اليه من الهند كهدية الا انه لم يعرها أدنى اهتمام فقد نسي وجودها وقصة قدرتها السحرية بالمرة على الرغم من انها كانت موضوعة على الطاولة عنده في المكتب لمدة بضع سنوات . واتفق انه كان يعبث بها بين يديه حين جاء ابنه لتوديعه قبل الرجوع الى المدرسة الداخلية وكان الابن متثاقلا من الذهاب فما كان من الاب ألا ان قال له : « قد لا تصدقني اذا قلت لك بأني ، على الرغم من كبر سني وعلى الرغم من غبطتك لي ، لا اود في هذه اللحظة ألا ان اعود صبيا ثانية ، مثلك . واؤكد لك ان العودة الى المدرسة لا تجعلني تعيسا إبدا » (٧) . وما ان تركت هذه الكلمات شفتي الرجل الا وانقلب الى توأم لابنه في مثل لمح البصر ذلك لانه حين تمنى تلك الامنية غير المقصودة كان الحجر الهندي بين يديه ! وتحصل بعد ذلك المفارقات المضحكة حين ينقلب الولد ابا والاب ابنا ويقاسي ما يقاسي في المدرسة الداخلية التي يعود اليها ، من الطلاب زملائه ومن مدير المدرسة واساتذتها على حد سواء حتى يهرب ويعود الى بيته ثانية ثم يستعين بالحجر كي يعود الى طبيعته الاولى بعد ان صمم على تغيير سياسته تجاه ابنه واطفاله الاخرين .

واما قصة ابراهيم عبد القادر المازني فقد ظهرت عام ١٩٤٣ في سلسلة « اقرا » واسمها « عود على بدء » وملخصها ان المازني نفسه يرفض ان يأخذ زوجته الى الشيخة صباح ويعلن صراحة بانه لا يؤمن بالسحر والخرافات ولكنه يضطر الى الذهاب امام أصرار الزوجة فتقرأ الشيخة كفه ثم تقول له : « ستعطى ما لم تطلب ، وتؤتى ما لا يباع ولا يشرى ، وتسلبه في اليوم نفسه . . . وسينضى عنك ثوب الرجولة الى حين يا صاحبي » (٨) . وحين يعود وزوجه الى البيت تقص الزوجة على الاولاد قصة خرافية مفادها ان فلاحا مسنا يأكل تفاحة سحرية في غير موسمها فيعود صبيا غريرا أصفر من ابنه . وبعد انتهاء القصة يذهب المازني الى فراشه وهو تحت تأثير القصة الخرافية وقصة طالعه الذي قرأته الشيخة قبل ذلك فيرى فيما يرى النائم بأنه عاد صبيا ويخوض مغامرات عديدة في ذلك اليوم الواحد حتى يفيق من نومه ويتخلص من ذلك الكابوس الذي اقض راحته .

اذا ماتمعنا في اسمي القصتين نرى أنهما لا يختلفان على الاطلاق ، فبينما اطلق انستي اسم «العكس بالعكس» على قصته اسمى ابراهيم عبد القادر المازني قصته « عود على بدء » وهذه التسمية تصلح ان تكون ترجمة حرفية للمصطلح الانكليزي Vice Versa اللاتيني الاصل .

واذا تأملنا محور قصة انستي نرى ان تفاصيل قصته تحصل فعلا اذ ينقلب الاب ابنا والابن ابا بفعل القوة السحرية في الحجارة ويؤدي تصرف كل منهما غير اللائق بسنه الى التعجب والتساؤل . وهذا هو محور قصة المازني اذ ان بطل قصته يحصل له ما يحصل في الحلم وليس في الواقع هذا مع العلم ان السحر يلعب لعبته في التاثير على حلم المازني بعد ان تصر زوجته على زيارة الشيخة العرافة قبل رجوعها الى البيت . فينام وحين يستيقظ صباحا يكتشف بأنه اصبح فتى غضا أبيض البشرة مدللا خبيثا يقوم بالكثير من الاعمال الخسيسة فيلومه عليها الشخص الاخر الكبير المتخفي داخل الطفل الخبيث ، كما يرى ان زوجته هي أمه .

والشخصية المهمة في قصة « العكس بالعكس » هي الرجل الكبير الذي عاد صغيرا والذي ينقل انطباعاته عن الحوادث الى القارىء اي ان القارىء ينظر الى الامور بعيني شخص ناضج ، واما شخصية الصبي فهي ليست بأهمية الشخصية الاولى ولا نراها الا قليلا . وكذلك في قصة المازني الا ان المازني يعكس الاية ويفعل اكثر من أنستي : فهو يؤكد شخصية الصبي ويكاد يزيل شخصية الرجل من قصته تماما اللهم الا حين يقوم بتوجيه اللوم الى الصبي احيانا او حين يختزي من جبنه ولؤمه . اي ان المازني اكتفى بانسان واحد في شخصيتين بينما جعل انستي الشخصيتين منفصلتين .

---

(١) الدكتور مصطفى الصاوي الجويني ، « السرقات الادبية » ، العربي العدد ١١٧ (آب ، ١٩٦٨) ، ص ١١٢ ـ (٢) المصدر نفسه ، ص ١١٠. (٣) كذا ، ص ١١٠-١١١ (٤) The Oxford English Dictionary, (Oxford, 1952), Third Edition.

(٥) الدكتور اسماعيل ادهم والدكتور ابراهيم ناجي ، توفيق الحكيم ، (القاهرة ، دار سعد مصر للطباعةوالنشر ، ١٩٤٥) ، ص ١٤٦-١٤٧ .

(٦) ف. انستي هو الاسم المستعار الذي كان يستعمله الكاتب الانكليزي توماس انستي غثري في الكتابة ، ولد عام ١٨٥٦ وتوفي عام ١٩٣٤ .

(٧) F. Anstey, Vice Versa; (London, 1962); p. 19.

(٨) ابراهيم عبد القادر المازني ، عود على بدء ، (القاهرة ، مطبعة المعارف ، ١٩٤٣) ص ٨ .

فاتحة قصة انستي لا توحي بما سيحدث للتاجر المحترم المحافظ السيد بول بولتدبود وكذلك فاتحة قصة المازني فهي تبدأ بشكل لا علاقة له ابدا بما انتهى اليه المازني نفسه بعد ان تخلف من معاكسة زوجه وأولاده واخلد الى الراحة والنوم .

الفكرة ، اذن ، هي نفسها في القصتين الا ان انستي اراد منها أن تكون درسا للاباء المتعنتين المتزمتين الذين لا يريدون ان يسمعوا وجهة نظر الجيل الجديد او الذين يريدون أن يفرضوا ما كان صحيحا في طفولتهم على أولادهم الذين يعيشون في عصر يختلف عن عصرهم . هذا ، وحين جعل انستي في قصته من الابن ابا جعله ، بطبيعة الحال ، يتصرف وهو بصورة ابيه ، بشكل صبياني طيلة مدة الاسبوع الذي تقمص فيه شخصية ابيه مما جعل المعارف والاصدقاء وخدم البيت يشكون في صحة عقله لان تصرفات الابن الهوجاء كانت على نقيض تصرفات الاب الذي كان مثالا للمحافظة والادب والتزمت .

لم نر للصبي في « عود على بدء » والدا فقد توفي والده فأفسدته والدته بحدبها وحنانها لكونه الطفل الوحيد وكانت الشخصية الاخرى للرجل الكامل المتخفية داخله تنحي عليه في بعض الاحيان باللائمة وتحاول نصحه الا انها لم تكن تملك زمام الامور حين كان يريد الصبي تنفيذ ما يريد . الصبي في قصة انستي فقد والدته وعليه فقد كان والده ارملا في حين كانت السيدة هي الارملة في القصة الاولى . كان الاولاد في المدرسة الداخلية ينحون باللائمة على ريشارد لان تصرفه المعقول الرزين بدا غريبا لهم .

في قصة « العكس بالعكس » يكون للصبي خال ، شقيق والدته المتوفاة ، يحبه الاولاد حبا جما الا أن والدهم يحتقره ولا يشجعه على المجيء الى البيت ومخالطة اولاد اخته لانه قام في ماضي حياته بأعمال غير مشرفة لذا فلم يكن السيد بولتدبود يكن له احتراما شديدا . في « عود على بدء » يكون لـ « سونه » عم ، شقيق والده المتوفي ، يكرهه « سونه » ويعاكسه في حين كان هناك نوع من الود المتبادل بين العم وزوجة الاخ ، اذ كان العم يرى انه بزواجه من ارملة شقيقه يكون بامكانه الاشراف على تربية الصبي بصورة احسن .

هناك تشابه ايضا في كون كلا الصبيين عارفا بانه قد صفر ويحدث نفسه حينما يخلو الى نفسه بمنطق الرجل الذي جاوز الخمسين على ان الصبي في قصة انستي كان على علم بأنه رجل طيلة الوقت وان اضطر بفعل الظروف ان يظهر بمظهر الصبي لان حجمه فقط هو الذي تغير وكان مالكا لزمام اموره اكثر من « سونه » الذي كانت شخصية الطفل تتغلب عليه دوما وتجعله يتصرف بشكل لا تستطيع الشخصية الكبيرة ان تسيطر عليه الا بعد الانتهاء منه .

كان الصبي في قصة انستي يفضح نفسه احيانا فيما يختار من الاصطلاحات الرجالية التي لا يستعملها الصبيان في سنه وكذلك كان يفعل « سونه » حين يتكلم احيانا فيواجه نفس السؤال الذي واجهه « ريشارد » « هل أنت مريض ؟ » الا أن صبي أنستي لم يستطع ان يتقمص شخصية الصبي تماما كما تقمصها المازني لانه لم يكن عارفا بالضبط مداخل ومخارج واسرار شخصية ابنه ، بينما قام « سونه » بالدور بصورة مضبوطة .

وكم حاول « ريشارد » ان يبوح بالسر لمدير المدرسة الا انه اخفق في ذلك كذلك باءت محاولة «سونه» بالفشل حين حاول ان يجعل المربية تفهم بأنه لم يرها من قبل وانه لم يسمع بها وانه لا يعرف حتى من تكون ! فتسقط مغشيا عليها ويقرر « سونه » الا يعيد عليها ذلك وحين تفتح عينيها ينكر بأنه ذكر أي شيء من ذلك ويجعلها تعتقد بأن جميع ما سمعته كان من نسج الخيال او من أثر الدوار والاغماء الذي اصابها .

واما بخصوص وصف مشاعر الصبي « سونه » في « عود على بدء » فهي ولا شك لا تختلف عن مشاعر الصبي « ريشارد » فبينما تقع الامور فعلا « لريشارد » حين عودته الى المدرسة نرى « سونه » يفكر فيما قد يحصل له اذا ما بدأ دوامه في اليوم الثاني وهو يوم السبت بداية الاسبوع المدرسي (تحصل الحوادث للمازني نهار يوم الجمعة) : « « واليوم عرفنا انه الجمعة ، وغدا يجيء السبت ، واحسب ان سيكون علي فيه ان أذهب الى المدرسة ، وان كانت عيني لم تقع في هذا البيت على كتاب او دفتر او قلم ، أم ترى للدرس غرفة خاصة ؟ وكيف أذهب الى مدرسة لا أعرف اين هي ؟ وهبهم حملوني اليها في سيارة ، او رافقني اليها خادم ، فالى اي الفرق اقصد ؟ واي التلاميذ احيي ، وعن ايهم أعرض ، ومن الاعب ومن أتقي ؟ وآه لو كان الذي تقمصت بدنه قد أورثني عداوات وخصومات وثارات ؟ واخرج يوما او ليلة اتمشى فاذا ثلاثة او اربعة — او اكثر او اقل — من الحاقدين الموتورين او المولعين بالشر لوجه الله تعالى ، قد كمنوا لي وراء شجرة ، ثم انقضوا علي واوسعوني لكما وركلا وتمزيقا ؟ .. أو قذفوني بحجارة فشجوا لي راسي واسالوا دمي وهشموا عظمي ؟ » (٩)

يصل « ريشارد » الى المحطة في انتظار القطار الذي سيأخذه الى المدرسة الداخلية وبينا هو يفكر في العودة الى البيت بدلا من اتمام السفرة يأتي صبي اخر ويحييه بحرارة الا انه لا يذكر انه راى ذلك الصبي قبلا ويجيبه ببرود فيلح الصبي عليه بالسؤال بعد أن يأخذ بيده « ... ماذا بك ؟ ماذا فعلت لك كي تقابلني بهذا البرود ؟» فيجيبه الصبي — الرجل :

(٩) ابراهيم عبد القادر المازني ، عود على بدء ، (القاهرة ، مطبعة المعارف ، ١٩٤٣) ، ص ٨١ — ٨٢ .

« لم تفعل شيئا الان الا اني لا احبك لاني لم يحصل لي شرف معرفتك » . فيجيبه الاخر بغضب « حسنا جدا اذن ، انت تعرف احسن . لكني ارى ان الاولى بك ان تتذكر بانك تعرفني من قبل ، خاصة وقد تم مجيئنا (الى المدرسة) في وقت واحد وصرنا اصدقاء واخذنا منذ ذلك الحين نجلس الواحد جنب الاخر » . قال السيد بولتديود « انني لا أذكرك وازيدك بأني ليست لدي اي فكرة عما هو اسمك . كل ما هنالك هو ان غلطة طفيفة حصلت ولا أستطيع ان اقف الان لكي اتكلم عنها . تلك سيارة اجرة جاءت الان فارجو اعفائي حقا ، يا ولدي ، لاني اريد الذهاب » (١٠) .

الاختلاف بين الاثنين هنا هو ان صبي المازني لم يكن يعرف كيف سيتصرف اذا ما ذهب الى المدرسة بينما حصلت الواقعة لصبي انستي اذ انكر اقرب اصدقائه اليه ولم يعرف من هو وعامله كما يعامل رجل صبيا ناسيا بانه انقلب انسانا آخر يلبس زي المدرسة الموحد وينتظر القطار شأنه شأن الصبيان الاخرين ، وكان الصبي الاخر يظنه يمزح . وبعد ان يركبوا القطار بصحبة المدير الدكتور غرمستون وبقية الطلاب يشم السيد بولتديود رائحة نعناع تنبعث من الخلف وبما انه يكره النعناع يبادر الى التذمر من الرائحة بصوت عال وبلهجة رجالية بحتة بينما يبهت الطلاب من ذلك التصرف وتثور ثائرة المدير لانه سبق ان منع جلب الحلوى الى المدرسة ولانه لا يريد ان يتعلم طلابه الترف فينادي على احد التلاميذ ويرغمه على أن يفرغ جيوبه من جميع الحلوى ويرميها من شباك القطار . وما ان ينتهي من هذا العمل الا ويصرخ السيد بولتديود فقد ركله احد التلاميذ ركلة شديدة على ساقه من تحت المقعد لانه تسبب في ضياع الحلوى وفي معاقبة التلميذ . وبعد وصولهم الى المدرسة واطمئنانهم بأن المدير بعيدا عنهم في غرفته يجتمعون على السيد بولتديود فيضربونه ويلوون ذراعه لانه تسبب في المضايقات المذكورة ويتعجبون لانه قد غير من طباعه بعد العطلة ويهددونه بشر المصير ان هو عاد الى ذلك . ثم يعودون الى ضربه مرة ثانية بعد أن يصعدوا الى غرف النوم . لقد فعل «الحاقدون والموتورون » من الصبيان فعلتهم بريشارد حين وضعوه في الوسط وبدأوا يضربونه ويركلونه فعلا وهو يحاول التخلص منهم الا انهم كانوا يوسعونه ضربا جيئة وذهابا في محاولته الهروب منهم (ص ١٤٨) .

وصف معاملة اولاد المازني « لسونه » في حفلة عيد ميلاده حين اراد البرهان على شجاعته فأشبعه الصبيان لكما وضربا واخذوا يعيرونه لجبنه (ص ٩٦) تذكر الشخص بمعاملة الاولاد « لريشارد » حين ذكروا بانه مدين لهم ببعض المبالغ وقت أن وعد بجلب الارانب والفئران لهم . بالطبع ، ما رآه المازني يختلف قليلا وهو من باب « التحوير الادبي » الذي اعترض عليه الدكتور الجويني في مقاله ، ذلك ان المازني يرى ان ولديه الاثنين اللذين اعطانا وصفهما في بداية القصة واعلمنا بأنهما كانا شيطانين رجيمين ، هما اللذان يقومان بضربه واهانته بدلا من الاغراب كما ان الوصف الذي اعطي للاولاد (« عود على بدء » ص ٩٢) اذ يرفس بعضهم بعضا لغير ما سبب معين عندما يتركون لوحدهم اشبه ما يكون بوصف انستي للصبيان في القسم الداخلي مساء حين يأمنون شر الدكتور غرمستون مدير المدرسة فيبداون بركل بعضهم وضرب بعضهم او أن يجتمعوا على واحد منهم اساء التصرف صباحا ، بالنسبة اليهم ، فيعطونه درسا لا ينساه وهم بمأمن من الدكتور غرمستون . الا ان « سونه » يتصرف دائما وابدا بشكل مخز فهو جبان رعديد يضربه الاولاد فيهرب منهم ويبكي ولا يتردد عن الكذب عند الضرورة ، واما « ريشارد » فقد كانت تصرفاته معقولة لا بأس بها ولم يبد اي نوع من الجبن وان كان الاولاد يغلبونه على امره في بعض الاحيان ذلك لان الاب الكامن فيه لم يتوقع المفاجآت التي كان يواجهه بها الاولاد لانه نسي أطوار الطفولة والشباب منذ زمن بعيد . لذا كانت تصرفاته تبدو غريبة احيانا لاصدقائه كانكاره العلاقة الغرامية السرية بينه وبين « دولسي » ابنة مدير المدرسة واصراره حتى على عدم معرفة اسمها او انكاره كتابة الرسالة الى الفتاة الاخرى في الكنيسة فهو فعلا لم يفعل ذلك بل قد فعله ابنه . اما ان الاثنين كانا يعلمان طيلة الوقت بأنهما رجلان تحولا الى صبيين غريبين فذلك واضح في الكتابين .

هذا ، وقد حشر المازني في قصته تفاصيل لا معنى لها كان جعل صبيه يحلم احلاما متعددة فطورا يرى نفسه انه ولد صغير يعيش في كوخ ساحرة خبيثة تسخره لخدمتها ، وتارة يرى انه انقلب كلبا يلبس ملابس الادميين ويجمع المال للعجوز صاحبته ، كل ذلك لم يزد او ينقص في القصة لا قليلا ولا كثيرا سوى انه انتج بعض التعقيد لكون القصة في حد ذاتها حلما واذا بنا ندخل في حلم داخل حلم . ولعل المازني فعل ذلك ايضا من باب « التحوير الادبي » كي يضيع اثر القصة الاولى في هذه التفاصيل غير المهمة .

واما نهاية قصة المازني فتكون بانتهاء الحلم واستيقاظه من النوم واما نهاية قصة انستي فتكون بعد هروبه من المدرسة الداخلية ورجوعه الى البيت ثم استعانته بالحجر الهندي مرة ثانية كي يعود الى حالته الطبيعية الاولى .

والان ، اين تقع هذه الحقائق من التعريف الاول ، هل تدخل في نطاق « الاخذ » الذي لا يعاب ما دامت

(١٠) F. Anstey, Vice Versa, (London, 1962), P. 41.

(١١) الدكتور مصطفى الصاوي الجويني « السرقات الادبية » ، العربي العدد ١١٧ (آب ، ١٩٦٨) ، ص ١١٢ .

الفكرة الاصلية قد تحورت قليلا وما دامت الرواية الاولى حصلت بالفعل بقوة السحر في حين ان الرواية الثانية لم تحصل اصلا لانها لم تكن سوى اضغاث احلام ؟ نعود فنستشهد بالدكتور الجويني : « ان التحوير الادبي ببساطة ، هو اخفاء معالم الاخذ . » (١١)

من الواضح ان هناك اختلافا في عمري الولدين فالصبي عند المازني لم يتجاوز العاشرة بينما هو عند انستي في الثالثة عشرة ولكنه انضج واعقل من الصبي بمراحل لان شخصية الرجل الناضج الداخلية كانت هي المسيطرة عند « انستي » بينما كانت شخصية الصبي هي المهمة عند المازني . كما ان هناك بعض الاختلاف في التصرف لان صبي انستي اجرى مغامراته في المدرسة الداخلية بينما يكون صبي المازني في البيت والطفل الوحيد لذا فانه مدلل العائلة والكل على استعداد لنسيان أغلاطه وتلبية اوامره واخفاء خططه اللعينة .

ويتعرض « ريشارد » في رواية « العكس بالعكس » لعقوبات شديدة من قبل مدير المدرسة ومن قبل زملائه في القسم الداخلي كما أن والده لا يلبي مطالبه ويكاد مصروفه يكون كفافا لان السيد بولتديود لا يؤمن بالتدليل وافساد الاولاد .

يقول الدكتور محمد مندور في كتابه « محاضرات عن ابراهيم المازني » في فصل « المازني القصاص » : « فهو لم يكتب قصصا من العدم ، ولا من نسج الخيال ، بل استقى مادة قصصه مما رأى او جرب او سمع . بل ان بطل قصتيه الاساسيتين وهما « ابراهيم الكاتب » و « ابراهيم الشاعر » هو المازني نفسه ، بل لعلنا لا نعدو الحق ان قلنا انه هو نفسه بطل معظم ما كتبه من قصص واقاصيص ، كما كان محور الكثير مما كتبه من مقالات تدور حول ذكريات حياته او مشقات عمله الصحفي او تجاربه في الحياة وشتى علاقاته الاجتماعية ، بحيث يمكن القول بأن ادب المازني كله ، شعرا ونثرا وقصصا ومقالات، ادب شخصي ، ومع ذلك استطاع المازني بما وهبه الله من روح شاعرية شفافة ، وبما افاده من الحياة من فلسفة فكهة ساخرة ان يعطي هذا الادب طابعا انسانيا جديرا بالخلود » . (١٢)

هذا القول يصح بالضبط على كتاب المازني « عود على بدء » لو اضاف الدكتور مندور الى عبارته السابقة « استقى مادة قصصه مما رأى او جرب او سمع » كلمة « او قرأ » لان المازني ، رحمه الله ، لم يكتب «من العدم» في كتابه « عود على بدء » وانه لم يكتف بالاستقاء من المادة فقط بل فعل اكثر من ذلك : انه اقتبس الفكرة بأجمعها تقريبا من كتاب « العكس بالعكس » . فهل عني الدكتور مندور بعبارته السابقة ان المازني « اخذ » افكاره تلك مما قرأ او تأثر بقراءته ؟

تورد السيدة نعمات أحمد فؤاد في كتابها « ادب المازني » نصوصا من كتاب « ابرهيم الكاتب » وكتاب « سانين » الذي ترجمه المازني تحت اسم « ابن الطبيعة » وقد وضعت الترجمة والاصل متقابلين وكان التشابه كبيرا الى درجة ان العبارات في بعض الاحيان كانت ذاتها في ألاثنين (١٣) . ثم تجيب على دفاع المازني عن نفسه حين أراد أن يزيل تهمة السرقة الادبية عنه بقوله أنه بعد ان دفع رواية « ابرهيم الكاتب » الى الناشر وبعد ان طبعت ونشرت أصيب بدهشة عظيمة حين اتهمه احد النقاد في مجلة الحديث الحلبية بانه قد نقل فصلا كاملا من رواية « ابن الطبيعة » في قصته « ابرهيم الكاتب » . وانه حين قارن مؤلفه بالكتاب المترجم وجد ان التهمة صحيحة الا انه يريد من القارىء ان يصدقه بأن رواية « ابن الطبيعة » لم تكن في متناول يده ولا في بيته وهو يكتب روايته ، اقول ، تجيب السيدة نعمات احمد فؤاد على ذلك بقولها :

« وهذا الدفاع مغالطة من المازني فان صلة الصورة بالشعور الذي يعبر عنه الانسان يجعل تفاصيل هذه الصورة من خصائصها التي لا ينبغي ان تتكرر عند الكاتب ولا عند غيره بغض النظر عن ان الوصف عادي او متفوق لان تفاصيل الصورة تعطيها خصوصية . ومعايشة الذاكرة التي يتكلم عنها المازني ، لا تصل الى المطابقة التامة من حيث دقة الصورة وجزئياتها . ولهذا لا ينهض هذا العذر بنفي السرقة الادبية . » (١٤)

الا ان الدكتور محمد مندور في كتابه عن المازني يقول : « بأنه كثيرا ما يجد عند غيره من الادباء والشعراء تعبيرا عما في نفسه ، فينقله شعرا او نثرا الى اللغة العربية منسوبا لذويه ، كما يحدث ان تذوب بعض معاني الغير في بوتقة نفسه وتتوه في لاوعيه ثم تبرز على غير منه فيما يشعر او ينثر » (١٥) .

لا أدري اذا كانت هذه العبارة محاولة لتغطية عملية « الاخذ » بحد ذاتها او أنها تغاض عن تقصير صدر من اديب كبير له ما له من فضل على ألادب العربي وله ما له من ذكرى طيبة في نفوس كل من عرفه أو عرف كتاباته . ولعل المازني كان يحاول ان يجد لنفسه عذرا أو مخرجا فيما اورده عن بشار بن برد لتشابه الحالتين : « وقد اخذ

---

(١٢) الدكتور محمد مندور ، محاضرات عن ابراهيم المازني ، (القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٤) ، ص ٤٥ . (١٣) نعمات أحمد فؤاد ، أدب المازني ، (القاهرة ، مطبعة دار الهنا ، ١٩٥٤) ، ص ١٨٩ - ١٩٠ .

(١٤) المصدر نفسه ، ص ١٩٢ - ١٩٣ (١٥) الدكتور محمد مندور ، محاضرات عن ابراهيم المازني ، (القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٤) ، ص ٢٢ (١٦) ابراهيم عبد القادر المازني ، بشار بن برد ، (القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٤٤) ، ص ١١٥ . (١٧) نعمات أحمد فؤاد ، أدب المازني ، (القاهرة ، مطبعة دار الهنا ، ١٩٥٤) ، ص ١٩٨ . (١٨) ابراهيم عبد القادر المازني ، « حلم بالمدرسة » ، الرسالة ، العدد ٢١٤ ، (١٩٣٧) ، ص ١٢٨٥ .

مسيرة الوعل

مسافر .. لا حزن في ضلوعه
وليس في عيونه علائم الفرح
كأنما السماء والجبال والبراري
تفتحت في وجهه خريطه
خالية الاديم من شواهد الحوار
كأنما أحزانه القديمه
مقبرة على ضفاف النيل
جاثمة ، تغط في الزمان والغبار
كأنما افراحه القديمه
حديقة مزهرة ، مرا عليها عندما كانا معا
وعندما عاد وحيداً ضائعا
كانت هناك كومة من شجر الصبار والحجار

مسافر .. تسلمه كآبة الوديـان
لقمة ، يغرد في نسيمها المنطلق الوضيء
أشـواقه المبعثره
وروحه المنكسره ،
يأخذ قسط راحة ، يقلب النظر
على السهول الآسـنه
على الجبال السـاكنه
ترسله كآبة المشاهد المستسلمه
للصخر ، والرمال .. في مسالك الوديان

مسافر .. يسلمه المكان للمكان
لا أحـد يعرفـه ،
لا أحـد يراه ..
كأنما في دورة الساعات والايام والفصول
تندثر الوعول ،
على رمال الثلج والجليد في الشمال
لا حزن في ضلوعها ،
وليس في عيونها بشائر الفرح !!

حلب — صباح الدين كريدي

بشار من غيره ، واخذ منه غيره ، فأحسن الاخـذ واحسنوا . ولعل الاشبه بالصواب ان تقول ان معانيه ـ ومعظمها وسط ـ كثيرة في كلام من سبقوه ومن جـاءوا بعده ، وهي ليست من البراعة او العمق بحيث لا يعقـل ان تخطر على البال . واذا ذكرت ان كل شاعر كان يحفظ كلام من سبقوه ويحرص على الاحاطة به فانك خليـق ان لا تستغرب هذا التشابه الكثـير بين معانـي المتقدمـين والمتأخرين » . (١٦) .

وأجد ان هناك فقرة لطيفة في الفصل الخامس مـن كتاب السيدة نعمات احمد فؤاد عن المازني وكأني بها ترد على الفقرة التي اقتطفت في بداية البحـث من مقـال الدكتور الجويني بخصوص اهمية التلمذة وتأثير الاستاذ في تلميذه اذ تقول الاستاذة الفاضلة : « وكلمتي الاخيرة في هذا الموضوع هي ان ثقافة المرء تؤثر فيه . ولكننا اذا اغتفرنا للمازني تأثره بالجاحظ ومحاكاته لـه فـي بعض التعبيرات في بدء تكوينه الادبي ، او تأثره ببعض ادبـاء الغرب ابان شبابه من عكوفه على مطالعتهم ، فاننا لا نغتفر له بعد ان تكونت شخصيته ان ينقل صفحات من (سانين) الى (ابرهيم الكاتب) ، او يأخذ موضوعا كاملا بكل مقوماته وتفاصيله كما فعل في (غريزة المراة) » (١٧) .

اعتقد ان هذه العبارة تنطبق على كتاب « عود على بدء » أكثر من غيرها من المؤلفات اذا ما ذكرنا ان « ابرهيم الكاتب » صدرت عام ١٩٣٢ بينما صدر كتاب « عود على بدء » سنة ١٩٤٣ أي بعد ان اصبح المازني علما من أعلام الادب العربي ، وارى ان قصة انستي تركت اثرا كبيرا في نفس المازني حتى قبل أن ينشر كتابه « عود على بدء » ذلك انه نشر في مجلة الرسالة أقصوصة او مقالة بعنوان «حلم بالمدرسة » قبل صدور الكتاب ببضع سنين يرى نفسـه فيها وقد عاد الى حياة التلمذة طالبا في الصف يحـاور ويجادل أساتذته وقد ميز بعضا من زملائه الادباء جلوسـا في قاعة الدرس مثله ايضا » (١٨) .

وبطبيعة الحال لم تدخل هذه الاقصوصة في تفاصيل كثيرة لانها لم ترد على الصفحتين ولكني أعتقد بأن قصة انستي راقته كثيرا وانها كانت تراوده للاقتباس منهـا فكتب هذه الاقصوصة اولا الا انها لم ترو غليله فاختمرت الفكرة أخيرا في راسه واصدر كتابه عام ١٩٤٣ .

هذا ما ارتأيناه الآن من اوجه الشبه بـين كتابـي المازني وانستي ولنا عودة قريبة لتكملة المقالة بخصوص المقارنة بين مسرحية توفيق الحكيم « مصير صرصـار » وقصة فرانز كافكا « استحالة » .

بغـداد — أمل أمين زكي

غدا نلتقي

الى روح استاذي الراحل الدكتور مصطفى جواد أهدي هذه الاضمامة الحزينة ...

★

لعل الضنى عن بعض ما في شاهد .. فكيف اداري من جوى وأجالد .. ؟
الام نصافي الدهر وهو يكايد .. ؟ وفيم نداري .. وهو غر يعاند .. ؟
ايثكلنا العلق النفيس ومن لنا بذاك ((الجواد)) الفرد والفرد واحد ..؟
ويا حيرتي اذ أنشد الصبر ضلة واستمنح الاجفان وهي جوامد ..
يقولون أنشى هدها الخطب انه هو الخطب تخشاه الصخور الجلامد

مضى ((مصطفى)) فينا حميدا وما مضت له الباقيات الصالحات الخوالد
مضى ((مصطفى)) لكن الى فيء رحمة وظل رحيم يرتجى ويناشد
مضى (مصطفى) جسما ولكن (مصطفى) بأرواحنا باق بها الدهر خالد

وشرفني أني تتلمذت حقبة عليه وكل صادر عنه وارد
بأفكارنا من نوره كل قبسة مخايل من آلائه وشواهد
عزيز على مثلي تقول رثاءه تمنيت أن لو قد نعتني العوائد ..
وأفحمت لا بل عي بالرزء مقولي امعربة عني الفصاح الشوارد ؟!

فديناك .. لو يفدى العزيز بانفس فدتك اذن منا الحسان الخرائد
بدا المنبر الوضاء بعدك كابيا وناحت طروس اذ نعتك المعاهد
وفي صفحة الاقلام من فقدك الاسى أما عن فصيح اللفظ بعدك شاهد ..؟
وقلت لنا .. ((قل .. لا تقل)) نحن كلنا سنملي الذي امليت والعلم رافد

جميعا غدا او بعده ثم نلتقي مصادرنا قد اشبهتها الموارد
سنمضي أجل نمضي جميعا لغاية .. غدا موعد كل الى الله عائد
غدا محشر فيه الاخلاء تلتقي ويجمع بالادنين فيه الاباعد
وان عزاءى عنك أن بني الورى ودنياهم دوما : طريد وطارد

جامعة بغداد — عاتكة الخزرجي



الدكتور احمد الشرباصي

اثر الامام محمد عبده في اللغة والادب

بقلم الدكتور احمد الشرباصي

* * *

من المعلوم ان اللغة هي اداة التفاهم ، وهي المظهر الذي تبدو فيه أفكار المتكلمين بها ، والمترجم الذي يعرب عن خواطرهم ومشاعرهم ، ولذلك قال مصطفى صادق الرافعي : « اللغة هي صورة وجود الامة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها ، وجودا متميزا قائما بخصائصه ، فهي قومية الفكر ، تتحد بها الامة في صور التفكير ، وأساليب أخذ المعنى من المادة » .

وهناك من اذا سمع كلمة « اللغة » فهم منها ما يدل على مجموعة من الالفاظ والمفردات التي لا يربطها تعبير أو تصوير ، وهذا المعنى غير مراد في هذا البحث ، بل يراد هنا من اللغة ما يشمل الالفاظ والتراكيب ، او المفردات والعبارات ، واللغة بهذا المدلول وثيقة الصلة بالادب ، حتى يكادا يترادفان في فهم فريق من الكاتبين ، ومن هنا حكم الرافعي في كتابه « وحي القلم » على كتب مثل : « ادب الكاتب » لابن قتيبة ، و « النوادر » للقالي ، و « الكامل » للمبرد ، و « البيان والتبيين » للجاحظ بأنها كتب ادب ، لانها ـ كما يعبر ـ كتب « تربية لغوية » قائمة على أصول محكمة في هذا الباب .

واللغة في عصر الاستاذ الامام محمد عبده (المولود في سنة ١٨٤٥ والمتوفي سنة ١٩٠٥) كانت ضعيفة راكدة الى حد ما ، فقد كان الحكم التركي يحول دون العناية اللازمة بهذه اللغة ، مع انها لغة القومية ولغة القرآن ولغة الاسلام ، والعلاقة التي كان هذا الحكم يستند اليها فيما بينه وبين العالم العربي هي علاقة القرآن والاسلام .

ولم يقتصر هذا الحكم على الموقف السلبي من اللغة العربية ، بل انتقل في مقاومتها الى نشاط ايجابي ، بأن فرض لغته التركية على أبناء العربية ، وجعل تدريس العلوم ـ الا اقلها ـ بالتركية ، وبذل الجهود الكثيرة لنشر لغته وتثبيتها ، وظهر هذا بوضوح في بلاد الشام .

ولقد جاء في كتاب « خاطرات جمال الدين » للمخزومي ان اول نقد وجهه جمال الدين الافغاني الى الاتراك هو اغفالهم استعمال اللغة العربية ، ومحاربتهم لها ، وقرر ان هذا يؤلمه ، وقال ان لسان دين الاسلام هو العربية ، ثم قال : « ويجب تعميم اللسان العربي بين من دان بالاسلام من الاعاجم ليفقهوا احكامه ، ويمشوا على سنن الارتقاء بعلومه وادابه ، ومكارم اخلاقه ، ومحاسن عوائد أهله . فالعرب ما نجحوا بفتوحاتهم بشكل الدين الظاهري فقط ، بل بفهم احكامه ، والعمل بآدابه ، وذلك ما تم ـ ولا يتم ـ الا باللسان ، وهو احد الاركان » .

والى جوار التعويق التركي لحركة اللغة العربية في ذلك العهد ، كان التعليم قاصرا وضيق النطاق ، وكان الادب فاترا قليل الابداع ، وكانت وسائل التثقيف والتوجيه والاعلام قليلة ومسخرة لاغراض الحكم واهواء الحاكمين .

وكانت الامة العربية التي تعاني التخلف ، وتضيق بالاحتلال ، تتطلع الى نجوم من ابنائها ، يطلعون مشرقين بين ظلام جهلها وحرمانها ، لينيروا الطريق نحو نهضة علمية لغوية ادبية ، وقبيل منتصف القرن التاسع عشر ، وفي سنة ١٨٤٥ بالذات ولد الشيخ محمد عبده ليكون بشيرا باقبال احد اعلام الاصلاح في الدين واللغة والمجتمع ، سيجعل شعاره في حياته تحقيق اهداف ثلاثة : أولها تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الامة ، وثانيها النهوض باللغة العربية ، وثالثها هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب ، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة .

ويقول الاستاذ الامام فيما يتعلق بالهدف الثاني : « واما الامر الثاني فهو اصلاح اساليب اللغة العربية في التحرير : سواء كان في المخاطبات الرسمية بين دواوين الحكومة ومصالحها ، او فيما تنشره الجرائد على الكافة منشئا ، او مترجما من لغات اخرى ، او في المراسلات بين الناس .

وكانت اساليب الكتابة في مصر تنحصر في نوعين كلاهما يمجه الذوق ، وتنكره لغة العرب : الاول ما كان مستعملا في مصالح الحكومة وما يشبهها ، وهو ضرب من

ضروب التأليف بين الكلمات رث خبيث غير مفهوم ، ولا يمكن رده الى لغة من لغات العالم ، لا في صورته ، ولا في مادته ، ولا يزال شيء من بقاياه الى اليوم عند بعض الكتاب ومن تعلم منهم ، غير انه والحمد لله قليل .

والنوع الثاني ما كان يستعمله الادباء والمتخرجون من الجامع الازهر ، وهو ما كان يراعى فيه السجع وان كان باردا ، وتلاحظ فيه الفواصل وانواع الجناس وان كان رديئا في الذوق ، بعيدا عن الفهم ، ثقيلا على السمع ، غير مؤد للمعنى المقصود ، ولا منطبق على آداب اللغة العربية ، وهو — وان كان يمكن رده الى اصول اللغة العربية في صورته ، لا يعد من أساليبها المرضية عند أهلها » . (تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ١١) .

ويعود الاستاذ الامام الى وصف اللغة الركيكة المعقدة التي كان يتبعها اهل الجمود والضعف على عهده فيقول : « وضعوا لانفسهم لغة جديدة غير التي أنزل الله بها شرعه ، ولذلك نراهم في مثل وقفية الواقف ، يحارون في الفهم حيرة لا خلاص منها » .

★★★

ولقد كان الاستاذ الامام — كما يذكر رشيد رضا — يرى ان حياة الامة دون حياة لغتها من المحال ، وان حياة العلوم العربية بمثل الكتب السقيمة العقيمة التي كانت على عهده من المحال ، وانه لا بد للاصلاح من احياء كتب الائمة وكبار العلماء ، التي الفت ايام كان العلم حيا في الامة . وكان يعتز بهذه اللغة الى حد بعيد ، فهو يستامر غررها : مطالعة وتفهما وحفظا ، وهو يرى انه لا سبيل الى فهم المعنى الصحيح للقرآن الكريم الا بالتمكن من اللغة العربية ، وذلك يتحقق بممارسة الكلام البليغ ومزاولته ، مع التفطن لنكته ومحاسنه ، واذا كان شاعر القطرين خليل مطران قد قال نثرا : « حسب المسلمين فخرا ان يكون لهم كتاب هو معجم البلاغة العربية العالية على مر العصور » . وقد قال شعرا على لسان اللغة العربية :

أنا العربية المشهور فضلي	أالغدو اليوم والمغمور فضلي ؟
ففي القرآن اعجاز تجلت	حلاي بنوره أسنى تحلي
اذا ما القوم باللغة استخفوا	فضاعت ، ما مصير القوم ؟ قل لي

اذا كان خليل مطران — وهو شاعر عربي مسيحي — يقول هذا نثرا وشعرا فليس بغريب ان يعنى العالم العربي المسلم محمد عبده بلغة القرآن أكبر عناية ، فهو يغار عليها ويدعو اليها ، وهو يحرص على التعبير الفصيح في حديثه وكتابته ، وهو يحث غيره على خدمة اللغة ونشر كنوزها وهو يحرص — من ولوعه بها وحبه لها — على أن يعرب أواخر الكلمات حتى عند الوقوف عليها ، ولقد زار ذات يوم مدرسة اسوان الابتدائية ، وكان المرحوم عباس محمود العقاد تلميذا بها ، وكان من معلميه فيها الشيخ محمد فخر الدين ، وكان العقاد التلميذ يكتب موضوعات انشائية جيدة ، فاطلع المعلم الاستاذ الامام على كراسة العقاد ، فقال الامام : « ما أجدر هذا ان يكون كاتبا بعد » . ونطق كلمة « بعد » بضم الدال غير واقف عليها بالسكون ، ولقد تأثر سعد زغلول بأستاذه الشيخ محمد عبده في ذلك ، فكان يقف على أواخر الكلمات محركة غير ساكنة ، وكأن مدرسة الامام كانت — كما يقول العقاد في كتابه انا — تحرص على تحريك اواخر الكلمات انفة من الهرب ، على حد قول القائلين : « سكن تسلم » ! .

ومن هيام الاستاذ الامام بهذه اللغة العربية الكريمة انه كان كالمتعمد للاتيان في كتابته بمفردات غريبة ، كأنه يريد احياءها ، او التعريف بها ، او اشاعتها بين الناس لاستعمال حتى تصير مأنوسة ، فهو يستعمل مثلا كلمة « الاغسار » وهو التقصير ، و « القبقب » وهو البطن ، و « الذبذب » وهو أهداب الثوب ، و « العاهدة » بمعنى الشاهدة ، و « اللهازم » بمعنى الاعلياء ، و « القسطل » وهو الغبار الساطع في الحرب ، و « الذملقاني » وهو السريع الكلام ، و « ثفثغ » في كلامه بمعنى خلط وثرثر ، و « المثفثف » بمعنى المتفلسف » ، و « المناهدة » وهي المدافعة ، و « الصماليخ » — جمع صملاخ — وهو وسخ الاذن ، و « الجهام » بمعنى السحاب الذي لا ماء فيه ، و « الكهام » وهو غير القاطع ، وهذه الكلمات كلها قد وردت في كتاب « المسلمون والاسلام » الذي يضم مجموعة من مقالات الاستاذ الامام .

ومما يعين على تحديد نظرة محمد عبده الى اللغة مذهبه في تحصيل مادتها ، فهو يرى انها تحصيل ملكة بالممارسة والدربة والتفهم ، وليست بتحصيل قواعد أو مصطلحات ، ويرى ان دقائق الفصاحة والبلاغة وبراعة التعبير تحيي الفهم ، وانه لا قدرة للاديب على حسن التعبير بغير توفير مادته من اللغة ، وان الشعر البليغ لا بد له من جودة اللغة ، وان تكون الفاظه آخذة بجزء من روح الشاعر .

والاستاذ الامام يتخذ من لغة القرآن وبيانه مثلا أعلى ، ولذلك لا يخالف طريقته في التعبير او الاعراب ، ولو الى صواب آخر ، من شواهد ذلك انه استعمل مرة الفعل « نصح » متعديا بنفسه ، فقال له تلميذه وصفيه رشيد رضا : « لقد ورد في اللغة : نصحه ونصح له ، والثاني هو استعمال القرآن الكريم » . وهو يقصد بهذا ان الفعل « نصح » ورد متعديا بنفسه في أكثر من عشرة مواطن من القرآن الكريم ، فما كان من الشيخ محمد عبده حين سمع هذا من رشيد رضا الا ان قال له : « صححها فاني لا أخالف القرآن ولو الى صواب » . وقد أكد أمير البيان شكيب ارسلان هذه الواقعة في كتابه الذي ضمنه رسائل رشيد رضا اليه ، وجعل عنوانه : « السيد رشيد رضا او اخاء اربعين سنة » (أنظر ص ٥٧٩) .

الى البير اديب

درب الجهاد على الاديب يطول — والصامد المقدام فيه قليل
فاهنأ وصلت وقد ظفرت بغاره — واليوم توج رأسك الاكليل
أفنيت عمرك في الطروس محبرا — أدماك في تلك الطروس تسيل ؟
أم نور عينك في السطور سكبته — فبدا ـ الاديب ـ كأنه القنديل
عشرات أعوام قضيت محررا — تلك الصحيفة والجهاد طويل
وكفى الاديب من الحياة يراعه — هو صارم عند النضال صقيل
فاذا يصادق فهو أصدق صاحب — واذا يعادي فالعدو قتيل
يعطي الاديب حياته قراءة — والدهر في حق الاديب بخيل
أتذكر الماضي وعهدا طيبا — تذكار ماضينا الجميل ٠٠ جميل
ايام كنا والشباب حليفنا — والعيش سهل والحياة فضول
أيام كنا والحياة سعيدة — نختال في ساح الهوى ونجول
ولنا حبيب لا يمل لقاءنا — واليوم كم عنا الحبيب يميل
والشيب أبيضه بمعاجم فودنا — فاسود منه القلب وهو عليل
لا شيء يبقى في الحياة حقيقة — بل كل شيء في الحياة يزول

اني عرفتك يا صديقي صادقا — ابدا وطبعك يا أخي نبيل
تهفو اليك نواظري من فرحتي — الفرحة الكبرى هي اليوبيل

زحلة ـ لبنان — رياض معلوف

ولقد أعجب الاستاذ الامام بكتاب لاحد المؤلفين الذين يقتدون ببيان القرآن وتعبيره ، فأرسل اليه خطاب شكر نجد نصه في الجزء الثاني من كتاب « تاريخ الاستاذ الامام » ج٢ ص ٦٢٨ . وفي هذا الخطاب يقول الاستاذ الامام لمؤلف الكتاب المشار اليه سابقا : « وكأني بك قد وقفت على ذلك السر الذي خفي على الجمهور الاعظم ممن سبقك ، وهو أن القرآن قد خط للعرب طرقا للتعبير ، ومهد لهم سبلا جديده لصوغ الاساليب ، ليخرج بهم من ضيق ما كانوا التزموه ، ويبعد بهم عن كلف ما كانوا رئموه ، ولذلك قوى عندك كل ما بني عليه ، وضعف لديك كل ما لم يستند اليه » .

ولقد عنيت في دراستي عن شكيب ارسلان ، ودراستي عن رشيد رضا ، بتتبع اثر الجملة القرآنية في نثرهما وشعرهما ، وهما تلميذان للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، ومن خلال هذا التتبع استبان لي ان مدرسة محمد عبده الادبية كانت ذات شغف بتأييد نثرها وشعرها بالجملة القرآنية : اقتباسا وتضمينا واستشهادا ، وكان عميد هذه المدرسة ـ وهو الشيخ محمد عبده ـ صاحب سبق وفوق في الاستعانة بهذه الجملة في منثوره ومنظومه ، كأن نراه يكتب الى ابراهيم اليازجي رسالة فيقول له فيها : « وغاية قولي : لا تثريب عليك ، اليوم يغفر الله لك ، وهو أرحم الراحمين » . وكأن يقول في قصيدته عن الثورة العرابية :

قاموا عليه لامر كان سيدهم — يخفيه في نفسه ، والله مبديه

وكأن يقول في القصيدة ذاتها :

لووا رءوسهم عجبا بقوتهم — واستكبروا النصح ان يصغوا الصافيه

وليس هناك جدال في ان الجهد اللغوي العقلي البياني الذي بذله الشيخ محمد عبده في تفسيره سور : الفاتحة والبقرة وآل عمران ، وجانب كبير من سورة النساء ، وتفسيره « جزء عم » هو أبرز جهد في أعمال الشيخ اللغوية والادبية ، والمجال هنا لا يتسع لاستعراض الحديث التفصيلي عن ذلك الجهد ، وقد حاولت استيفاء ذلك في باب عقدته عن « تفسير المنار » في دراستي عن رشيد رضا وجهوده الادبية واللغوية .

كما انه لا ريب أن هناك عوامل كثيرة نلمسها جعلت الاستاذ الامام صاحب آثار حميدة ومجيدة في دنيا اللغة والادب ، وهذه العوامل جديرة باستعراضها وتحليلها في مجال آخر .

القاهرة ـ جامعة الازهر — احمد الشرباصي

حنين الى المدينة المنورة

قصيدة مهداة الى الصديق الاديب المديني الكبير الاستاذ « الحبيب أحمد محمود »

●

خل الحبيب ليومك الماتع ... وأنشد خواك مع الصفا الرائع
ما العيش لولا الحب مختمل ... فالحب بلسم سحره الشافع
جفت ينابيع الحياة اذا ... ما أقفرت من بسمة الوادع
عجبي لذي أذن مغلقه ... كيف استطاع وسيلة السامع
الود نادمني كأن له ... كاسا تجول بمشرب هامع
كان الاخاء وئام ألفتنا ... يا من باخوة عمره طامع
اني أتيت الى الدني بددا ... أبغي شقيقا حبه نافع
قالت لي الام الحنون أما ... يكفي وجودك أيها الضائع
وأبوك راح رهين متعبة ... حتى انتهى خفاقه النازع
واليتم في عينيك مطفاة ... بكى عليك بدمعه النابع
حتى كبرت فصرت شاعره ... ذكراه عندك لحنك الساجع
قالت : تعال نزر ديار هدى ... فيها الرسول بنوره الساطع
أ (محمدا) هذي يدي بسطت ... تبغي لقاءك في المدى الشاسع
كنت الصغير وجئته معها ... وفؤادها للقائه جائع
ثم انطوى عمري وعاودني ... من بعدها حب الى الجامع
فاتيت روض الخلد معتصما ... بالود أسجد سجدة الضارع
ونزلت في كرم بعاطرة ... من حاتمي صيته ذائع (١)
تحت العشايا كان يطرفني ... بالشعر في أدب له بارع
وله الحديث عن الرسول بدا ... في نصه مرفوعه الراجع
بأبي الرسول وطيب معهده ... وعلى « المدينة » أنسه الشائع
بلغ سلامي أهل دارته ... في خزرج والاوس لي طالع
تلك الطيور على مآذنه ... وقبابه رفت على الهاجع ،
أحلام ليل صبحه فلق ... من نبع خمرته أنا الجارع
شوقي الى الصحراء يلثمها ... من رملها نبت التقى الرادع
هف النخيل على مباهجها ... فغدا أمان القلب للجازع
أترى أعود لزورة شغفت ... روحي تنادي وجدي الهالع

حي « المدينة » في مغارسها ... وانشق برياها الهوى الناجع

---

(١) هو الاستاذ الكبير « الحبيب أحمد محمود » .

دمشق — زكي المحاسني

وتجلت في حفل القران كل آيات الروعة والاناقة ..

لسنين متطاولة كانت « نادية » تعيش زاهدة في كل شيء ، ذاهلة عما ينمي اليها ، كأن مسا من الجنون قد استأثر بكيانها كله ، على عواطفها الكاوية ، وقد دثرها رماد صفاق ، اطبق ظلام من اليأس لا ينجاب .. ظلال الحزن تمتد بها حتى قرارة الابد ببشاعة .. توارت اختها في قلب التراب ، تعانق الماضي .. من الصعوبة أن تصدق ذلك ... انما تصدق حدسها .. يد غير منظورة انتزعت اختها هذه ... رعدة قاصمة من جلال المصاب تختلج في اوصالها كورق الخريف ، يجرفه موج فاقع ... بين بين يسمو بها لحن رخي شجي ، لكنها لا تعبأ ، لتؤثر الانكماش ... لطالما خرق نداء المجهول صمتها المثير : اما لهذا الليل من اخر .. ؟ هل انت الا انثى .. دمية طفل تسيرها الانوثة كيفما تشاء ؟ يا لها من وداعة آسرة .. لا حد لانوثة تتفجر ، كما لو كان نبعا زخارا يخصب موات الوجود .

بعد تهنئة رقيقة تلقتها من زميلتها ، قالت :

— هكذا آذنت الحرب على الزواج بالنهاية ؟ ..

« كنت اتشاءم من مجرد ذكر اسم الزواج ، وكيف اذا تخطاه الى الاستجابة الفعلية لدواعيه ؟ حسبي اسيرة في سجن موحش طيلة اعوام » .

— لم يكن لي ندحة عن الاذعان لارادة « القسمة » .

بنظرة حانية يشع منها التطلع :

— عدولك عن سابق رأيك يعني تحولا في واقعك ؟!

— سئمت واقعي وهو يضج تفاهة ورعونة .. (وفي ذاتها) : والاوهام ما انفكت تطاردني كعفريت، تسلبني راحتي ، وتعكر مزاجي .. ليتك عرفت .. ؟

وانبرت بفضول بغيض :

— الا يحتمل هذا التحول تفسيرا معقولا .. ؟

— يبدو انك تعتقدين غير ذلك ؟.

بخبث تخفيه ابتسامة مصطنعة :

— تعنيني كزميلة لك ، علة هروبك من الزواج أمدا طويلا ؟

« هذه محاولة لاستدراجي ... ومن حقي ان احتفظ بأسراري لنفسي ... لن افتح لك قلبي المغلق .. غير ممكن هذا .. يعز علي ان ابوح بما يساورني ، ولو لزميلة تشاطرني قسطا من همي وبؤسي » .

— لم يكن هروبا بالمعنى الصحيح .. انما كان لباعث ما ..

— باعث ما ؟! ..

« حسبي اتعاظا بتجربة اختي



بقلم وحيد الدين بهاء الدين

الراحلة « شادية » .. بئس الزواج اذا كان هذا .. اعاد عليها بما لا تشتهيه ايةعذراء ... معاناة ... ولادة .. وموت .. يا ستار .. ! »

— الا يجوز أن يكون ثمة باعث .. أي باعث ؟

وادبرت عليهما القهوة ، بينما نظراتهما متشابكة باصرار ..

— حقا ترهبت فيماضيك ، وعلى أعقابهم رددت طالبي يدك ..

« كنت اخدع ذاتي .. واكذب عليها .. وما أنا الا عبدة انوثتي كغيري ، وفريسة احلام تزهو بي



كل ليلة .. ولكني كنت مقيدة بوهم جائر .. غدار ينخر اعماقي ، ويوحي الي ابدا بما اقشعر له » .

— تلك ارادة الحياة .. ومن ذا الذي يتحداها ؟

— وفتحت صفحة جديدة من حياتك ..

— آمل ان لا يرنقها كدر ..

لغز لا يحل ، عقدة متأصلة مكينة من الناس ، مهيمنة على مشاعرهم وعقولهم بفظاعة ، يزيدها تباورا في الاغوار اعتقاد العجائز بالخرافات ، والنسج على منوالها .

ونادية غالبا ما تناهت اليها حوادث عديدة كهذه ، حيث لا تخلو منها المجتمعات البشرية ... لا تكاد هي تهتم بها ، أو تلقي لها بالا ، لكن تجربتها القاسية في ولادة اختها ، وقد أفضت الى موت مفاجيء ، رسخت فيها وهما مخيفا مكتسحا استحال عقدة عبر توالي الايام . وجعلتها تؤمن بها ، وتخشى منها على حياتها فيما لو تزوجت ..

★

كانت نادية في بيتها الجديد تطهو الطعام بنشاط جم ، وتنهمك في تهيئة اسباب الراحة لعريسها الذي يعود من عمله الرسمي بعد الظهيرة بقليل ، وما برحت حتى وثب الى ذهنها ما كان قد جرى لها مع امها قبل ثلاث سنين :

— وافقت وأبوك على زواجك من المهندس ، هذا الذي طلب يدك ضمانا لمستقبلك .

— لا اتزوج ، وليس لي رغبة في احد ، مهما يكن .

— واختك ، عليها الرحمة ، اما تزوجت ؟

— راحت ضحية بريئة ، ولن اغدو أخرى ..

— أفكارك جد سوداء ، لا يجمل بفتاة مثلك ان تستسلم لها وتنشغل بها ..

— ... ...

ـ لقد حطمت شبابك ؟
ـ راضية انا بحالي ..
ـ ما هو معنى هذا الرفض ؟
ـ صعب علي ان اقضي على نفسي بنفسي .
بحدة وسخط :
ـ افصحي فيما تقولين .
ـ ما هناك غموض ..
ـ ولن تطلب يدك بعد اليوم ..
ـ في داهية ...
ـ حتام نصرف الناس ، عيب والله ..
ـ ذلك في ضمير الغيب ..
ـ لا يجوز انتصدفي عن الزواج.
ـ هذا خارج مشيئتي ..
ـ نحن في حل من المسؤولية ..
ـ الاقدار هي المسؤولة .
ـ وانت ؟
ـ .. ..
ـ وتهددك العنوسة ؟
ـ كفاية ...

★

بمستشفى الولادة رقدت نادية ، وامها الى جانبها في غرفة تطل على حديقة واسعة جميلة .. انفاس الزهور تنتشر في الجواء عابقة ، والخمائل ينعشها هواء مرطوب لطيف ... نشاوى تدخل الطيور ... طيور المساء الى اعشاشها ، وهي تعبى من فرط التحليق والتغريد ...

ـ هذه آلام المخاض .. احس بها .. تعذبني ، حتى لكأنها اللهب يضرم كل خلية من خلايا جسمي .

فرفعت الام يديها الى السماء بالدعاء ، وعيناها مبتلتان جزعا :

ـ الفرج .. يا أرحم الراحمين .

وكانت نادية قد حبلت منذ الشهور الاولى من زواجها ، لم تكن تدري بذلك ، حتى بدت الاعراض عليها ، واعتلت صحتها ، مما الزمها الفراش بعد الوقت .

الاوهام تتجدد .. والوساوس تتفاقم ..

وبدا معها تمزق نفسي حاد ، ورهبة عنيفة آخذة بالتلابيب .. جعلت تستهول كل ما يوحي به اليها العقل الباطن ، وتغلو في حمل اي حدث على غير محمله الطبيعي .

ايحاءات متقطعة ، تتصاعد من الاعماق .. تجسد خوفها ، وتقطع عليها مجرى تفكيرها ، وتسمم احساسها ، وتطيح بها في متاهات ومجاهل .

شرع الكون تغلفه سكينة شاملة .

انتصب شعرها كمسامير خرساء .. وانصتت الى نداء المجهول الرهيب ، وآلام المخاض تتضاعف قوة واتساعا .. والنسيم يهب برفق وتأن ..

بين يديها اخذتها الطبيبة :

ـ تمالكي نفسك ..

ـ اماه .. تنهار قواي .. اوه .. اوه .. !!

ـ يا رؤوف يا رحيم ..

ـ لا شيء كالصبر في المحن ..

قالت الطبيبة ببساطة وتفاؤل :

ـ الولادة طبيعية ، تجنبي الاضطراب .

« مسكينة انت يا نادية ومظلومة .. ذلك المصير المؤلم ما اردناه لك .. لكنها شماتة الاقدار الساخرة ، تضمر لنا شرا اي شر .. هذا الليل النذير بالشؤم يحبو نحوي .. بينكما فصل الموت حتى الابدية .. أهذه هي الولادة ، ثمرة الزواج ؟ ومجهول يكشر لي عن انيابه الفارقة في الصفرة .. أوعدك بظلام كهذا الذي يزحف مطرقا كالابله .. ان انا الا ملاقية عين المصير .. واخيبتاه .. مصير اختي .. صوت يناديني حنانا من دهليز العدم .. اسمعي .. اسمعي .. ما ارخمه ... ما ارقه .. ! »

انفجرت صرخة ، كأنها قنبلة تتطاير شظاياها ..

وتداعى على البساط الابيض الناعم شيء ..

« ليذهب الوليد قربانا لك .. لا ضير ان اطل على الدنيا ميتا او اعمى .. حرام ان يفنى شبابي .. مهيب هذا الايحاء الذي يتعالى .. لا تبالي يا نادية .. اوليس الطريق واحدا ؟ وفي صدرك يوسوس شيطان ارعن .. آه ، قطرات من العرق تتهاوى على صفحة وجهي .. على اطرافي .. زجوها في قفص .. شدوها بوثاق العرف .. ومن منقذك .. ؟ تبا لزواج هذه نهايته .. في عروقي يسري شيء ، لكنه محرق .. يد من المجهول تمتد ، لادراها عني قبل ان تقضي علي .. صراع لا يزال ناشبا بيننا .. رعشة الموت تعصرني .. تجعلني نفاية عفنة في مزبلة .. حياتك في مهب الفناء .. عمري .. حياتي .. حياتي .. فانية .. واحسرتي .! »

عجلت الطبيبة وقد ازاحت نادية عن موضعها بعض الشيء ، لا تباليها ، واردفت :

ـ ذكر .. ذكر .. تهانينا .

ـ حمدا على سلامتك يا بنتي ..

وما لبثت ان تهالكت على اريكة لصق سريرها :

ـ نادية .. هوذا ولدك .. كحلي بنظرتك .. يبدو انه جميل .. قري به عينا ... (ثم انتفضت كمن لسعته حشرة بانفعال ظاهر تحبسه دموع) :

ـ نادية .. ما بالك .. انا امك .. نادية .. ما بك ؟ نادية .. الله ... ماذا جرى لك .. انائمة انت ؟!

ووقفت تميل اليها مكتئبة ، بوجه ممتقع ، ونظرة حائرة :

ـ نادية .. نادية .. جواب يا بنتي .. يا للمصيبة .. لن يكون هذا .. يا اله العالمين .. نادية تلحق شادية ؟ يا لضربة جديدة !!

بمرارة اجهشت بالبكاء ...

كانت عينا نادية وهي مسجاة فوق الفراش مشدودتين الى نقطة بعيدة ، ابدية ، تلاشت في جوف الظلام ، عبر النافذة ..

بغداد **وحيد الدين بهاء الدين**

علي احمد باكثير

★

مضى الغالي فهل تجدي دموعي ... لقد أطفأت من حزني شموعي
علي باكثير عليك دمعي ... مدى الايام نارا في ضلوعي
وليت اليوم صحف النعي ضاعت ... ولم افجع بذا الخطب المريع
قرأت بها وما صدقت عيني ... وكذب مسمعي قول المذيع
وكنت بأمسنا نجما مضيئا ... يشع ثقافة بين الجميع
أراح العبقري مضى وولى ... وخلف حسرة بين الجموع

عرفناه وما قد ثار يوما ... سوى للحق ، للحق المضيع
عرفناه التواضع في اعتزاز ... واشراقا كذا الطفل الوديع
عرفناه المجاهد في بلاد ... ستذكره على صدق الصنيع
عرفناه الوفي لكل خل ... ولم يعرف نفاقا بالخنوع

تكالبت النفوس على سراب ... بدنيا الزيف والوهم اللموع
وشاعرنا أبي النفس عافت ... بحق نفسه خدع الطموع
ويأبى أن يذل لاي فرد ... سوى لله أكبر في خشوع
هو الايمان علمه التعالي ... عن الاسفاف من نبع رفيع

مضى الغالي ولم يرحم أسانا ... وكان ارق من قلب جزوع
لقد حطم الفراق النفس حزنا ... وصمتي كان ابلغ من بديعي
فلا شعري ولا نثري أفادا ... ولا دمعي يخفف من هلوعي
لماذا لم تودعنا جميعا ... وتفجعنا بذا البين السريع
لو انك يوم رحت شهدت حزني ... ولوعة اصدقائك في صدوع
كأم مات واحدها فجنت ... وأم هالها نبا الصريع
لآثرت البقاء ولا تفادى ... قلوبا شاقها حلو الرجوع
فكيف الصبر يجدي علتيها ... وكيف الصبر للقلب الوجيع

مصر الجديدة

روحية القليني

هـادي زين العـابـدين

خطاط حمص وشاعر من شعرائها المبدعين

بقلم الدكتور عبدو مسوح

* * *

لم يكن ذلك المحل المضاء حتى ساعة متأخرة من الليل خلافا لبقية المحلات غريبا عني . فقد كنت أمر دائما من ذلك الطريق الفرعي الذي يصل شارعين رئيسيين من شوارع حمص . والتفت الى تلك الجهة علني استأنس بنور يضيء لي سواء السبيل . اما ذلك المحل المضاء فقد اغلقت أبوابه الزجاجية وطليت بدهان ابيض كثيف يمنع الرؤية ويبقى حائلا بين العالم الخارجي والداخلي ، فلا تقع عينك على ما في داخل المحل الا في فترات قصيرة كأن يدخل او يخرج اليه او منه شخص . غير ان لمحة واحدة الى داخله تنبئك عما يحتويه من سر وما يكنه من عبقرية ، وما علق على جدرانه من آيات الفن الرفيع . انه معرض الخط في اروع مظاهره وانقى حلله وابدع صوره .

كنت في صفري كلما مررت امام لافتة ما اقرأ كلماتها كاملة غير منقوصة ، ثم آخذ بالامعان بحروفها حرفا حرفا ، متبينا سحر الخطوط ، مقدرا عظمة الفن ، مأخوذا بجاذبية الاخراج . غير انني عندما المح توقيع الاستاذ « هادي » يذهب عجبي وترتاح نفسي ، لان الشيء لا يستغرب من معدنه . والاستاذ زين العابدين ابن بجدتها وسيد من مسك قلما وخط على القرطاس احرفا من نار ونور تنير سبل الضالين .

قرض الاستاذ هادي الشعر وهو فتى ثم انكفأ عنه ليزاول مهنة الخط فكأني به يكرس نفسه ويمرنها على أصعب الفنون اطلاقا بلا جدل واشدها احكاما وادقها مبنى . اذ بين شكل الخط ولونه وظلاله تكمن أسرار العبقرية ، حتى اذا ما اكتملت في نفسه تلك المقاييس الدقيقة عاد الى الشعر يصوغ درره وينظم لآلئه عقودا تزين جيد الزمن متخذا لبدائعه ذات القيود التي فرضها على نفسه حينما كان يخط آيات الفن ، فما يأتي الشعر الا ذا طلاوة وظلال ، متناسق الصور ، بيّن الفكرة ، واضح العبارة ، لا تكلف فيه ولا معاظلة ، ينبع من اعماق النفس ليسير في دوحاته الوارفة الظلال ، المعطرة بأنسام الشباب ، العبقة بأريج الحياة ، المخضلة ببشائر الربيع . فاسمعه حيث يقول :

خلعت «حمص» معطفا من شتاها   وارتدت في الربيع ثوب بهاها

البستها مشيئة الله بـردا   نسجته وأبدعته يداها

أبيض اللون سندسي الحواشي   قد توشى نقشا بزهر رباها

وتـراءت أشجارها كقباب   من ورود سبحان من أنشاها

هب ريح الصبا عليها عليلا   فحلا للفؤاد ريح صباها

علمتني الهوى فاصبحت مضنى   من هواها .. ولم أزل مضناها

ومنها أيضا :

«حمص» مهدي ومنبتي وهي امي   قد سقاني لبانها ثدياها

وباحضانها ترعرع جسمي   ورعتني بعطفها يمناها

انها بلدتي ومهبط شعري   من هدى وحيها عرفت الاله

كتب الاديب الكبير نظير زيتون ، رحمه الله ، معربا عن رأيه القيم في شعر الاستاذ هادي ، قال : « قال العرب قديما : اعذب الشعر اكذبه ... والصحيح ان في هذا القول تحاملا فاضحا على الشعر والشعراء ، وجهلا واضحا لرسالة الشعر والشاعر ، هذه الرسالة التي يجب ان تنبثق من الصدق والفن والجمال . لا من الكذب والافك والخيال الضارب في صحراء الضلال . وآية الشعر ان ينساق بحكم الطبع والسجية والملكة ، بعيدا عن التكلف والتعمل ، منزها من شوائب التزمل والتبذل ، متجاوبا مع الحقيقة والفن ، في اسلوب طريف وديباجة بيانية مشرقة ، لا عوج فيها ولا أمت .

وباستطاعة كل طالب ان يتعلم العروض وينظم ، ولكن ليس باستطاعة كل من هؤلاء الطلبة أن يصير شاعرا . لان الشعر موهبة وملكة ، وليس في طاقة المدرسة ان تخلق في الطالب هذه الموهبة وهذه الملكة .

قال احد ملوك انكلترا وقد أصاب وأجاد : ان بامكاني ان أجعل من اي رجل لوردا بمرسوم أصدره ، ولكني اعجز كل العجز عن رفع رجل مهما عظم شأنه الى مرتبة شاعر .

واني اهنيء الاستاذ هادي زين العابدين بما نال من ملكة شعرية صقلها الفن وجملها الصدق . فكان امينا في التعبير عن شعوره وزنا وقافية ، يرسلهما في سجعة صافية ، وظلال من الخيال وارفة ، غير متكلف او هازل .. ويرى القارىء لشعره جرسا أصيلا وقلبا عقولا وذهنا صقيلا ومنتجعا مأمولا .. » .

وكتب الاستاذ الشيخ عبد العزيز عبد النبي عن المرحوم هادي : « انه رائق المعاني حسن المباني ، بديع الالفاظ والقوافي كانه لؤلؤة الغواص ، لم يأت على اسلوب من اساليب الشعر الا واحسن بيانه ولا على معقد الا وسهل سريانه » .

وكتب الاستاذ محمد الحلواني : « يحق لحمص ان تفاخر بابنها هادي ... وبعيد جدا بين من يفتخر بالامة وبين من تفتخر به الامة . لقد اهدى شاعرنا وخطاطنا المبدع لامته العربية كنزا عليه يشكر واظهر الى حيز الوجود من الفن ما لا ينكر . ولا عجب اذا ظهر الفضل من أهله واينع الغصن ليدل على اصله ، فانه من أهل بيت، عرفوا قدما بالادب والدين وفيهم ظهر وعنهم أخذ بيقين » .

وقال الشيخ مؤيد شمسي باشا : « والشاعر هادي ينتمي الى أسرة عريقة النسب جمعت الى جلال العلم والدين جمال الفن والادب ، وتقدمت في المضمارين على السواء .. وقديما قال الشاعر :

وهل ينبت الخطي الا وشيجه   ويغرس الا في منابته النخل ؟

ويذكر الاديب الكبير أديب ملحم البستاني ما للشاعر هادي من نفوذ وراء الحجب واتيانه بشعر لا يتعدى الحدود التي رسمها الرسول العربي لشعبه .. (انتهى) .

واذا كانت حمص مهد الاستاذ هادي ومنبته وامه ومهبط وحيه ، ففيها ترعرع جسمه ، ورعته بمناها بعطفها ، ومن هدى وحيها عرف الاله ، فحق له اذا ما فقدت احد ابنائها او بناتها أن يشاطرها الاسى واللوعة .

يعود الاستاذ زين العابدين ذات يوم من سفر بعيد ليحضر عرس اخته فتموت أمه في ذات اليوم وتدفن قبل وصوله الى البيت فيعود والالم يحز في نفسه سائلا اخته الكبيرة عنها :

افاطم اختي اين امي فهل مضت ؟   وهل غادرتنا في التياع وفي بؤس؟
اجابت ودمع العين منها جرى دما   على خدها جري العقيق على الورس
امالك علم بالذي قد جرى لها   فوا أسفا قد أصبحت داخل الرمس
سقتها اكف الموت حنظل كاسها   فيا لك من موت ويا لك من كأس
أأسلو على مر الزمان مصيبتي   بها وهل الايام تكفل أن تنسي ؟

وتذهب العروس الى بيت الزوجية لان كل شيء كان معدا قبلا ، فيقول :

وما لي أرى أختي (ثرية) زينت   بأبهى اللآلي وارتدت أحسن اللبس
وغادرت البيت الذي حال مأتما   وحلت بدار للمسرة والانس
أدار بها أنس ؟ ودار بها أسى ؟   وأم الى رمس ؟ وأخت الى عرس ؟

ولئن كان للشاعر المبدع في كثير من الاحيان ان ينصرف بالهامه وانغامه الى الشعب فيذود عن حوضه ويهتف بمجده ويترنم بجهاده ويفصح عن مشاعره ويأخذ بيده في مسالك الرقي والتقدم فان الاستاذ هادي زين العابدين بقصائده الوطنية يقف ناصع الجبين مرفوع الراس يتحدى الزمن بثقته بأبناء وطنه وكلهم بطل مغوار تهون عنده الدنيا في سبيل العزة والكرامة .

أما غزله فتغلب عليه صبغة التصوف الفارضي نظرا لنشأته وتربيته الدينية . اسمعه من قصيدة « وشاح البردة » حيث يقول :

يا واحة النخل من وادي العقيق عمي   بساكنيك فطرف الدهر عنك عمي
ويا ديارا سقت عيني مرابعها   من الدموع كما تسقى من الديم
ويا نسيمات وادي المنحنى كرما   تقبلي حمل أشواقي لذي سلم
مري بوعسانها الفناء في سحر   وقبلي ثغر ظبي البان والعلم
وانت يا ركب ان بانت منازلهم   بالله حي أهيل الحي من اضم
ما كنت أحسب ان اللحظ ذو خطر   حتى وقعت وقلبي بالسهام رمي
لما رمى خلت ان السهم أخطاني   وان جرح هواه غير ذي ألم
لولا عيون المها ما نابني وله   ولا ذكرتك يا عهد الهوى بفمي

ومنها ....

وان هم جعلوا زلفاهم صنما   لله همت بزلفاهم وبالصنم
وان وقفت اصلي كنت ملتفتا   اليهم ولو ان البيت مؤتممي

استغفر الله لا شركا اردت به   وان أثمت فيا ويحي ويا ندمي
فما سمحت لعيني غير رؤيتهم   ولا لاذني ان تصغي لغيرهم
ولا لقلبي ان يحلو الحديث له   الا التلذذ في ترديد ذكرهم

ومنها :

محمد خيرة الرحمن من مضر   وصفوة الخلق من عرب ومن عجم
كم من قصائد لي في مدحه سبقت   وكم جرى وانبرى في حبه قلمي
جعلت أزكى صلاتي والسلام على   محمد مبتدا قولي ومختتمي

واذا ما مدح الاستاذ هادي النبي وصحبه بأجود شعره وابدع صوره ، فانه لا يسلو قومه ونفسه ابدا .

أليس هو القائل :

سل المجد والعلياء فيما مضى عما   بلغناه من فضل ومن كرم عما
فقومي ذوو مجد عريق وسؤدد   وبالجود والاحسان قد عرفوا قدما
وقومي هم العرب الكرام وانني   لآل رسول الله أقربهم رحما

وتطغي عليه أحيانا نزعته الشعرية فيجعل من الحب والغرام شريعة والسير في هذا السبيل جهادا والعشق فرضا والمحبة سنة .

والشعر ان لم يكن ذكرى وعاطفة   أو حكمة فهو تقطيع وأوزان

رحم الله « هادي » فقد كان شاعرا كبيرا وخطاطا قديرا وصديقا مخلصا ..

وخير ما نختتم به حديثنا عنه قوله :

ان ملت العين خل الدمع يسعفها   وقل لقلبك ان يسل استفق وهم
أو هاجك الوجد كن بالصبر معتصما   او اشتكى القلب قل زد فيه واستدم
موتي حياة وتعذيبي به طرب   وكل خفقة قلب فيه كالنغم
هم الاحبة حقا والسوى عدم   فلا ملامة ان أفنى بحبهم

حمص ــ سورية   **عبدو مسوح**

مراهقة

وذات حسن شجاها ان ترى رجلا
يصبو اليها ويعلو وجهه الشجن
أغاظها أن سني لم تعد سببا
الى التصابي وأن قد فاتني الزمن
فقلت عذري اليك الشعر فاتئدي
اني عن الحسن مسؤول ومؤتمن
اذا استباني جمال رحت أرسمه
من حيث لا يزدري موت ولا كفن
فارسلت بسمة كالومض خاطفة
لعلني أجتلي ما وارت الدجن
فرع ترامى على جيد الصباح رؤى
فهام في ناظريها الليل والوسن

وديع ديب

ضيــاع

نظمت في الاسكندرية في ١٠ اذار ١٩٦٨ تعبيرا عن الضياع الذي لفنــا بعد حزيران ١٩٦٧

الليل يزحف والحياة تذوب في بحر الضياع
والذكريات تئن من ألم الجراح
والسائرون معي أراهم يرجعون
من بعدما هبــت ريــاح
وترنــح المجداف في الليل البهيم ، فلا شراع
يقتادني للشاطىء المرح الطروب
للحــب للامــل الجميل
للعالم المسحور حيث الذكريات
تغفــو على ألــق الحيــاة
سكرى يضوع أريجها المعطار
في الافــق الرحيــب

حلــم أراه يفــر يبحث عن قرار
ويغيــب في قعر البحــار
حيث النهاية والسكون
وأظل أرنو للحياة
للعاشقين نفوسهم للسائرين بغير زاد
وأصيح والالــم الدفــين
يقتات مــن روحي الحزين
أنــا ها هنا أرنو الى الحلم الجميل
وأصيخ للنبأ العظيم بكل واد
للفارس المقدام يقتحم الحصون
ويدك أعمدة الضلالة والفساد
ويعيد حيفــا والجليل
ويصون معراج الرسول
والهاربين من الغزاة الطامعين
العابثين بأمتي وبهيئة الامم الصليبه
وبنود ميثاق يمزق في النهار
أنا ها هنا أرنو وأصغي للاباة
للمنقذين بلادهم من كل عار
وأظل أصغي في السكون
فيجيء من قعر البحار

صوت حــزيــن :
ضاعت فلسطين الحبيبه
فلتفهموا معنى الضياع

وطني يداس وامتني رهن المطامع
والقاعدون يلفهم شبح الهزيمه
والســاهرون
يتنعمون بليلهم لا يعرفون
من أين تشرق شمسهم ومتى تغيب
في كل ميدان خيانــه
ويظل أعداء الحيــاه
الزارعون الموت في الارض السليبه
يتندرون ويسخرون
ويسابقون الريح في الوطن الحبيب
ويظل قومــي قابعين
في حانة العمــر الجديــب

أنــا مــن أكــون ؟
أنا ذلك البحــار يهزأ بالريــاح
ويعانق المــوج الرهيب
أنا ها هنا وحدي وقد عاد الرفاق
ومضيت أرتاد البحار وفي دمي ايمان شعبي
ورســالة البعــث الجديد
ستظل تخفق رايتي حتى أعود
وأعانق الامــل الخصيب
وارى بلادي حرة شماء ناصعة الجبين
وارى الغفــاة
صرعى تدوسهم السنون
وتصب لعنتها السماء عليهم في كل حين

جامعة بغداد
احمد مطلوب



محمد عبد الغني حسن

الادب والاحذية ... والنعال

بقلم محمد عبد الغني حسن

* * *

قرات للمغترب المقيم ، الاخ النابه النبيه الاستاذ « وديع فلسطين » مقالا طريفا جيدا ، بعنوان « الادب والاحذية » في عدد سابق من اعداد « الاديب » ، ثم ما لبثت ان رأيت في عدد ديسمبر الماضي من الاديب « ذيلا » للمقال بقلم الكاتب نفسه ، يستدرك أمورا فاتته ، واشياء غابت عنه في مقاله الاول ، فألف بين اول البحث وآخره ، وجمع بينهما (برباط) متين ...

ولم تفت النكتة اخانا الوديع - رد الله غربته - فجعل التعقيب على مقاله الاول (ذيلا) من ذيوله (وسيرا) من سيوره ... ولو شاء ان يسميه «شسعا» من شسوعه لما حاد عن لغة الفصاح ، وهو من أعلامهم ...

واذا كان أخونا « الوديع » عالي الكعب في الادب ، بما يتحفنا من طرائفه ، ويسجله من لطائفه ، فان بعده عن مراجعه الحبيبة في مصر ، وتلك النوى الشطون بينه وبين مكتبته العامرة الرابضة على حدود صحراء هليوبوليس، تجعل بحثه الطريف عن الادب والاحذية يحتاج الى تعقيب آخر ، ليس منه طبعا ، وقد أبدى لنا عذره بالبعد عن مصادره ومراجعه ، ولكن من أخ له يريد ان يربط قديم حبه « لوديع » بجديد وده له ، وشوقه اليه ، فان الفراغ الذي تركه الاستاذ وديع فلسطين ، والمكان الذي خلاه بالقاهرة لا يسده انسان ، ومن هنا كانت متابعته وملاحقة آثاره الثمينة ضربا من فريضة الحب التي يفرضها الاخاء التالد ...

ولقد أشار الاستاذ وديع فلسطين في بحثه الفكه الممتع عن « الادب والاحذية » الى ذلك الاديب الذي كان يشتغل بائعا للاحذية بمحلات (سليم وسمعان صيدناوي) الشهيرة ، والذي كان معروفا بمشاغباته (لشيوخ الادب الحديث) ، والذي ترك بيع الاحذية ومعالجة النعال في اقدام العملاء الى الاتجار في الحديد الخردة ... ولكن ذاكرة الاستاذ وديع فلسطين ولم تسعفه برواية الابيات الثلاثة التي قالها أحد الشعراء المعاصرين في ذلك الاديب الذي تنقل بين بيع النعال وبيع الحديد ، فقال فيه :

تركت النعال ، وبيع النعال ... لبيع الحديد القديم العتيق
رجعت بطبعك في الحالتين ... الى خلق فيك جاف صفيق
فانت الجدير بصفع النعال ... وانت بضرب الحديد الخليق

وما كان بيع الحديد عيبا يعاب على انسان ...
ولكن اختيار ذلك الاديب للحديد الخردة هو وجه التفكه والفاكهة في ذلك الميدان ... ويذكرنا بيع الحديد هنا بحمل الحديد ... والشيء بالشيء يذكر .. فعندما فاز البطل المصري سيد نصير ببطولة العالم في رفع الاثقال سنة ۱۹۳۰ هناه الشاعر احمد شوقي بقصيدة رائعة ، عقد فيها موازنة بين اثقال الحديد المادية ، وبين اثقال اخرى معنوية يضطر الانسان الى حملها في الحياة ، وهي أشد وطأة ، واعظم ثقلا من الحديد ... كالرجل الثقيل ، وحمل الديون التي هي هم بالليل ومذلة بالنهار ، وحمل الحقد والغل في الضلوع ، واحتمال ظلم القريب الغادر ، او العدو الكاشح ، وتحمل المن المكرر بالليل والنهار من مسدي المعروف ، او باذل الصنيع ، وتحمل طغيان اللئيم اذا اصابه الغنى او نال قليلا من الجاه ، او حمل استماع المديح الكاذب لشخص غبي لا يستحق المدح . وارجو الا أخرج عن رسم المقال اذا رويت هنا ابيات شوقي : .

قل لي نصير وانت بر صادق ... احملت انسانا عليك ثقيلا ؟
احملت دنيا في حياتك مرة ؟ ... احملت يوما في الضلوع غليلا ؟
أحملت ظلما من قريب غادر ... او كاشح بالامس كان خليلا ؟
أحملت منا بالنهار مكررا ... والليل من مسد اليك جميلا ؟
احملت طغيان اللئيم اذا اغتنى ... أو نال من جاه الامور قليلا ؟
أحملت في النادي الغبي اذا التقى ... من سامعيه الحمد والتبجيلا ؟
تلك الحياة ، وهذه أثقالها ... وزن الحديد بها فعاد ضئيلا

نعود الى الاحذية وادبها ، فنذكر ما قاله الطغرائي - صاحب لامية العجم المشهورة - من التوصية بكتمان امورنا عن الناس جميعا : الحافي منهم والمنتعل ، ضمانا لنجاحنا وبلوغ امانينا . يقول الطغرائي :

وان اردت نجاحا او بلوغ منى ... فاكتم امورك عن حاف ومنتعل

وظاهر ان صاحب « أصالة الرأي » قد أخذ نصيحة هذه من الاثر المبارك الذي يقول : (أستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان) .

(والحفاء) في الادب العربي ملازم للفقر ، وكناية عنه . ولكن قد يكون الحافي غنيا اذا كان بين جنبيه نفس غنية أبية .. فليس الغنى بكثرة العرض ـ كما يقول الاثر الشريف ـ ولكن الغنى غنى النفس . وقد أخذ هذا المعنى الشاعر العربي الفارس أبو فراس الحمداني ، فصاغه أجمل صياغة في قوله :

ان الغني هو الغني بنفسه ولو انه عاري المناكب حافي

وهو من قصيدته الفائية التي مطلعها :

غيري يغيره النعال الجافي ويحول عن شيم الكريم الوافي

ومن شعراء العربية الذين لجأوا الى (النعل) لاستعمالها في ضرب الاقفية ، الشاعر اللطيف الظريف ابو الحسن محمد بن محمد المعروف بابن لنكك البصري ، وكان معاصرا للمتنبي ، ولكنه خمل وركدت ريحه ، وكان كثير الشكوى من الزمان ـ جعلك الله يا اخي راضيا بقضاء الله وقدره ـ وله في هذا المذهب أبيات كثيرات ، ومقطعات طريفات ، منها ـ مثلا ـ قوله :

نحن والله في زمان غشوم لو رايناه في المنام فزعنا
يصبح الناس فيه من سوء حال حق من مات منهمو ان يهنا

ومن (نعالياته) قوله في هجاء الرملي الشاعر :

حلف الرملي فيما اق ستص عني وحكاه
يدعي يوم اصطلحنا انني قبلت فاه
لم أقبل فاه ... لكن قبلت نعلي قفاه

ووقع النعال على الاقفية هنا تستحضر لنا في الذهن الدعاء باستبدال خدود الاعداء بنعال الاحباء . ولعل اول من دعا بهذا في الشعر العربي ـ فيما نعلم ـ الشاعر كثير صاحب (عزة) حيث يقول :

وسعى الي بعيب عزة معشر جعل الله خدودهن نعالها !

والنعل عادة يضرب بها المثل في الحقارة والدناءة ، فهي ادنأ موضع متصل بجسم الانسان بعد قدمه .. وهي مكان « الدوس » من القدم ، ولذا تسمى عند كثير من الناس بالمداس ... وقد جعلها بعض الهجائين من العرب عدلا للشيء المهين الذي لا يسوى شيئا ... واذا كان هذا شأن (النعل) في المهانة فما بالك بشسعها ؟؟ .

لقد لجأ « المهلهل » الجاهلي أخو « كليب » الذي قتله جساس بن مرة الى تحقير شأن (بجير) ، حينما قتله اخذا بثأر أخيه كليب ، قائلا له وهو يطعنه بالرمح تلك الطعنة القاتلة المشهورة : « بؤ بشسع نعل كليب » ، اي ارجع مساويا لرباط حذاء كليب !! وليس هناك تعبير عن الهوان أشد من هذا الكلام . على أن القصة بتمامها وطرائفها مذكورة في يوم « حرب البسوس » من أيام العرب في الجاهلية .

واذا كانوا يستعملون في تمام المطابقة والمشابهة هذا التعبير : (حذوك النعل بالنعل) ـ كما ذكر اخونا الوديع في مقاله ـ فان العرب قد استعملت للتعبير عن مكان الذل وموقف الذليل هذا المثل الذي اتى به الامام الثعالبي في « ثمار قلوبه » ، وهو : (صف النعال) ، فيقال : هو في صف النعال ، لا في صف الرجال ، كما يقال : هو في مزجر الكلب ...

واتخذ العرب مثلا اخر من النعل للتعبير عن الذلة ، فجاء في امثالهم : هو أذل من النعل . وليس هذا المثل جاهليا كما يتوهم ، ولكنه اسلامي اموي ، اخذوه من قول الشاعر « البعيث » واسمه خداش بن بشر المجاشعي :

وكل كليبي صفيحة وجهه أذل على مس الهوان من النعل

وفي رواية اخرى ذكرها « الميداني » صاحب « مجمع الامثال » :

وكل كليبي صفيحة وجهه أذل لاقدام الرجال من النعل

وهكذا نرى « النعال » ذليلة ، ومضرب المثل في الذل والهوان ، وآلة للصفع على الخدود والاقفاء وغيرها من مواطن جسم الانسان ، ومتكأ لتحقير الاشخاص كقولهم : فلان على حذائي ، او هذه المسألة (على جزمتي) ...

ولكنا لم نجد النعال موضع التكريم والتقبيل الا في تمثال نعل النبي محمد عليه السلام ومثاله ، فقد خصها نفر من الشعراء بشعر كثير ، تناوله بعضهم بالتشطير والتخميس ، مثل الشيخ محمد بن الفرج السبتي الذي قال مخاطبا نعل النبي :

يا نعل أكرم مرسل لما اتى **دخل الورى في دينه افواجا**
كرمت من نعل حوت رجلا مشت **باجل باد في الظلام سراجا**
شرفت بموطىء نعله السبع العلا **لما ارتقاها عارجا ليناجى**

ومن شعراء النعل النبوية نمير ابن الفرج السبتي ، العالم المؤرخ الاندلسي المشهور ابن الابار القضاعي من أهل بلنسية ، وكان علامة في الفقه والحديث ولسان العرب والتاريخ ، والامام المشهور ابو الربيع بن سالم الكلاعي ، والفقيه ابو الحسن الشامي من رجال القرن الحادي عشر الهجري وكان صاحب الصاحب نفح الطيب ، وابو اليمن بن عساكر ـ ولا ادري اي ابناء العساكر هو : أعلي بن الحسن المؤرخ المشهور وصاحب تاريخ دمشق والمتوفي سنة ٥٧١ هـ ؟ ام القاسم بن علي بن المؤرخ السابق والمتوفي سنة ٦٠٠ هـ؟ ام عبدالرحمن بن محمد بن عساكر ابن اخي مؤرخ دمشق والمتوفي سنة ٦٢٠ هـ؟ ام عبد الصمد بن عساكر حافظ الحديث وصاحب النظم والمصنفات المختلفة والمتوفي سنة ٦٨٦ هـ؟ ـ والامام احمد بن احمد بن محمد القرطبي ، وسراج الدين عمر الفاكهاني المتوفي سنة ٧٣٤ هـ ، وقد ذكره المقري صاحب النفح وازهار الرياض باسم) سراج الدين (ولكن ابن مجر العسقلاني في « الدرر الكامنة » ذكره باسم (تاج الدين) وعنه نقل اخونا العلامة الاستاذ خير الدين الزركلي في كتابه العظيم « الاعلام » . ولا أدري من اين جاء (المقري) في ازهار رياضه باسم سراج الدين . ولعله وهم فخلط

لولا الكتاب..

بمناسبة انعقاد « معرض الكتاب الدولي » بالقاهرة

الشرق والغرب في الوادي قد اجتمعا   يا ما أحيلى اجتماع الموكبين معا
باسم الكتاب دعت مصر فجاوبها   من كل فج نصير خف واندفعا
كل الى النيل مشتاق يحن الى   لقيا تلطف منه الشوق والولعا
سعوا الى ضفة كانت وما برحت   للفن والعلم والاداب منتجعا
على صقور من الفولاذ سابحة   عبر الفضاء تثير الذعر والهلعا
يفر منها عقاب الطير مرتعدا   ويحتمي دونها بالسفح متضعا
يجري بها خببا ربانها فاذا   ماضاق بالسحب جاز السحب وارتفعا
حتى استقرت وفود الحرف في بلد   يقدس الحرف مطبوعا ومستمعا

أهلا بكل فتى أعلت مواهبه   قدر الكتاب وجلى فيه وابتدعا
لولا الكتاب لظل العلم محتبسا   عند الدهاقين او من يخدم البيعا
العلم في الصدر أفلاك محجبة   بالغيم لكن يبث النور ان طبعا
فلو سألناه سكنى النجم شاد لنا   فوق السماكين أبراجا ومرتبعا

يا ناشرين الحروف السود زاهية   بالحسن مؤتلقا بالفن ملتمعا
هذي المآثر كانت آي غايتها   نفع الانام وخير البر ما نفعا
اذا رجعتم الى اوطانكم فصفوا   للناس ما ابتكر المصري او صنعا
قولوا لمن شك يوما في خلائقنا   وظن انا نوالي الذئب والضبعا
لئن تكن مصر دار الضيف ان لها   حمى عزيزا على الاعداء ممتنعا
سيروا وعودوا اليها تشد هاتفة   ان الصديق الى أصحابه رجعا

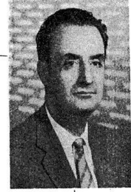
القاهرة   عادل الغضبان

بين تاج الدين وسراج الدين .

وللمؤرخ المقري الاندلسي مشاركة شعرية في مدح تمثال – او مثال – نعل النبي عليه السلام ، بل له فيها تأليف مستقل قائم بذاته عنوانه « فتح المتعال ، في مدح النعال » الفه وهو مار بالقاهرة في خلال رحلة الى المشرق ، ومنه نسخ خطية في بعض مكتبات شرقية وغربية ، ولم يصل الى علمنا انه طبع . وقد اشرنا اليه في كتابنا « المقري صاحب نفح الطيب » الذي نشرته وزارة الثقافة المصرية في سلسلة « اعلام العرب » سنة ١٩٦٦ .

ويضرب المثل بتلازم كل نعل لاختها ومصاحبتها لها ، ويشبه فراق المرء لصاحبه بفراق واحدة من النعلين لاختها . وقد قرات هذا بأسلوب جيد في كتاب « المنازل والديار » لاسامة بن منقذ حين روى حكاية عن محمد بن واسع ، رحمه الله ، فقد كان يمر بربوع أخوانه بعد موتهم فيناديهم : أي فلان ! أي فلان ! ثم يرجع الى نفسه حين لا يجد ردا لندائه فيقول في حسرة واتعاظ : ماتوا والله ! وان نعلا فقدت اختها لسريعة اللحاق بصاحبتها ...

القاهرة   محمد عبد الغني حسن



فراشة

★ ★ ★

جاءت تبث الروض شاكية ... غصصا من الاشواق تشجيها
مالت على الازهار ساردة ... سيرا تفيض لها مآقيها
أفضت بما تخفي دخيلتها ... وأتت على اسرار أهليها
والزهر آذان مفتحة ... تتلقط الاخبار عن فيها
يا ضيعة للسر حين مضت ... تروي على الازهار ماضيها
قد ضيعت ما استودعته ولم ... ترع الامانة او توقيها

راحت تشق الافق ضاربة ... أجوازه بجناحها تيها
بسطت جناحيها مرفرفة ... (كشقيقة) رفت أعاليها
أو مهجة عصفت بلابلها ... من لوعة الذكرى لما فيها
أرأيتها جندت محلقة ... في الافق والظلماء تخفيها
تنداح في الآفاق تائهة ... كسفينة شالت مراسيها
والريح تدفعها وتجذبها ... والليل ينشرها ويطويها
لكنها ظلت مكابرة ... تتصنع الاقدام تمويها
عجبي لها مما تجشمه ... من شدة كانت تعانيها
هل عندها من سيرة عجب ... صعدت الى الجوزاء ترويها

ما كان قلبك في نوازعه ... الا الفراشة قام يحكيها
تهتاجه فتن فتصرفه ... عن سنة للحق يبغيها
وكذا الفراشة ليس يردعها ... عن غيها من راح يهديها
كم جامح للنار تحسبه ... فجرا أضاء فتزدهي تيها
وتدف نحو النار حاسبة ... نورا فترديها أمانيها

دمشق ... عدنان مردم بك



صموئيل عبد الشهيد

الطبيعة في شعر فوزي المعلوف

بقلم صموئيل عبد الشهيد

* * *

اهتم فوزي المعلوف في بواكير انتاجه بمظاهر الطبيعة . ولعل أبرز قصيدة استوحى فيها الطبيعة هي قصيدته « الطبيعة » وفيها يصور لنا أثر الطبيعة في حياةالانسان :

طبيعة كأنها دمية — صنع يدي مصور ماهر
لولا هواها ما عرفنا الهوى — ولا ابتسمنا للقد الحائر
ولا نظمنا الشعر لولا ندى — منتظم في سلكها الناضر
ولا أجدنا النثر لولا هوا — ينثره بحكمة الناثر
ولا عرفنا الحب يجري دما — في جسمنا بالجوهر الطاهر
لولا اعتناق البان في ايكها — وقبلة الطائر للطائر

وهذا حديث عن الطبيعة يفيض بالسذاجة ويرتبط عنده بفكرة الحب في بداءةتكوينها اذ انه، وهو ما يزال غرا في صناعة الشعر ، يلجأ الى الطبيعة من حيث هي جمال، واغاريد طيور ، ومثار حب . ونلاحظ انه لم يخرج في وصفه للطبيعة عن حد الاعتقاد بأن الطبيعة هي مصدر الهام الشاعر ووحيه ، ويكتفي بذلك .

غير اننا نحس فيما بعد ان فوزي المعلوف قد تحرر من اسر الطبيعة الساذج ومفهومه البدائي لها ، واخذ يخوض في معترك الاحداث وجدانية كانت أم سياسية أم اجتماعية . ويرجع ذلك الى أن الاحداث التي المت بالبلاد واعلان الحرب ، والظلم والجوع والجراد ، وغيرها من الخطوب الناجمة عنها تركت اثرا بليغا في حياته . اذ ان البؤس الذي كان يعم الوطن كان يسخر من جمال الطبيعة ، بل كان يبعث على السخرية في نفس الشاعر . وحين ينادي روح « هيكو » لتحمل نسمة الى الاحياء ، يصف هؤلاء الاحياء بأنهم :

هم موتى النفوس ، موتى الاماني — رغم ما في جسومهم من رواء
نبذتهم اهل الدنى فعساها — لبلاهم ترق أهل السماء

فالاحداث بحد ذاتها ، واحكام الظروف ، والكشف الجديد للحياة ، جعلت فوزي ينظر الى الوجود نظرة اشد عمقا واكثر غورا . وراحت هذه النظرة تنمو وتتطور حتى تم نضجها في قصيدتيه : « على بساط الريح » و « شعلة العذاب » .

ولعل أحساس فوزي بلامبالاته بالطبيعة تولد عن شعوره بأن الطبيعة لا تعبأ به ولا تأبه لاحزانه ، ففي قصيدة « لو » وهي ايضا من بواكير انتاجه ، يقول :

لو يعلم الزهر الحبيب الهوا — ما في فؤادي من جراح الهوى
لذوب البلسم من عطره — فيه ليشفيني

ولو رأى البلبل بين الغصون — نار ضلوعي في مياه الجفون
لحول المحزن من شعره — شدوا يسليني

ولو درى البدر عشيق النجوم — بما الاقي من فنون الهموم
لاهمل الشهب ومن قصره — اهوى يؤاسيني

ولو درى الفجر باني ارق — من نسمة الفجر لطول الارق
لبلل الاضلع من قطره — وراح يبكيني

ولكن الطبيعة لا تأبه له ولا تريد . ولو كانت تعنى بشأنه لسارعت اليه تحنو عليه ، وتسكب على نفسه بلسم العزاء . ففي قصيدته « الطبيعة » كانت الطبيعة مصدر كل الهام . اما في « لو » فان الطبيعة فقدت سر سحرها عليه لانه اكتشف انها لا تبالي به وبالتالي لم يعد هو يبالي بها .

غير ان هذا لا يعني أن الطبيعة أمحت من شعر فوزي انما اتخذت في وجدانه مفهوما اخر واصبحت مصدرا من مصادر الذكرى والحنين . فهو فيما بعد ، كما سنرى ، يستسلم لدغدغة الذكريات ، وتأخذ صور الماضي تثير في أعماقه رؤى مفعمة بالحنين . فالقمر لم يعد غاية بذاته وانما غدا عنصر اثارة يرتبط في ذهنه بتذكارات قديمة ، بل أن هذه التذكارات تستحيل في وجدانه الى شعر غنائي كما في « قبل القمر » . فاسمع

هذا النغم الشعري الذائب في غمرة لحن فرح :

فهنا ترين على الاكم   فجرا كاحلام الشباب
غض الاهاب
ملئت نواظره ضرم
اما النسم
فيه ، فباردة عذاب
وعلى أنامله خضاب   من مسح دمع ذوي العذاب

فالطبيعة لم تعد غاية ، انها مثار انغام وحياة . ومع هذا كله ، فاننا كلما تأملنا في شعره المتأخر يتضح لنا ان فوزي ينعتق يوما بعد يوم من سحر اشراك الطبيعة الا بمقدار ما تتفاعل مع مفهومه للحياة . واخذت الحياة ذاتها تطغي على تفكيره بكل ما فيها من مآس وافراح ، واحزان ومباهج .

ولعل امتزاج الحنين في اغاريد الطبيعة هو من ابرز المظاهر الوجدنية في الشعر المهجري عامة ، وهو وتر ضرب عليه معظم الشعراء من المهجرين الشمالي والجنوبي.

ونجد في قصيدة « حنين » خير مثال يسعفنا على سبر غور هذا المظهر من مظاهر الحنين المتجسد في وصف الطبيعة عند فوزي :

هذي سفوح التلال   هذي اعاليها
هذي عيون الجبال   تجري مآقيها
هذي ربوع الظبا   هذي مآويها
هذي ديار الصبا   يا ليتني فيها

اهل الحمى والحمى   في ذمة الله
والصب يشكو الظما   والمرتجى لاه
كم ذا المحب اشتكى   للكوكب الزاهي
يتلو البكا بالبكا   والآه بالآه

وفي احدى قصائد أغاني الاندلس يتغنى فوزي بسماء لبنان وهو في طريقه الى المهجر ، وكأنما الدنيا كلها أصبحت سماء لبنان فيناجي ملهمة شعره ان تقف معه ليتمليا الجمال من ربى لبنان وسمائه وشاطئه لان التنائي حان :

انظريها والليل مد عليها   من نسيج الحلى وشاحا ثمينا
فتخالي الاديم فيها غديرا   وتخالي النجوم فيها عيونا
واخشعي للظلام فهو ...   كم ... في بردتيه السكونا
واسمعيه يدعو الشفاه الى الصمت ويدعو الى الهدوء الجفونا

فالطبيعة في شعر فوزي استحالت الى مثار للذكرى ، الى مبعث للاشواق والحنين ، والاماني . ولم تعد غاية بذاتها ، وهو ، كما رأينا ، لا يختلف عن سائر شعراء المهجر الا على تفاوت في ألعمق من حيث رقة الشعور وانفعاله . فمن قصائده التي اختصر فيها كل معاني أشواقه قصيدة « حنين المهاجر » :

واطول اشواقي الى الوادي   وادي الهوى والحسن والشعر
ملهى صباي ومهد ميلادي   وعسى يكون بحضنه قبري

فهو كما ترى قول ينبض بكل انفعال ذاتي يتململ بالشوق وكأنه يندب الماضي ، ويتشوق اليه . وهو يحن الى وادي زحلة ، ألى الكرم الذي يكسوه سنى الشفق بألوانه ويشع متألقا كالذهب :

فترى به في صفرة الورق   عسلا بلؤلؤة على ذهب

اما الليل ففيه تمشي مواكب الاحلام والشعر :

والى الربى والليل كللها   بسكونه المملوء بالسحر
ومشى الهوى فيها فظللها   بمواكب الاحلام والشعر

ان هذه الخيالات تثير في أعماقه الحنين الى الماضي فيندبه مرة ثانية بنداء « وا » :

واها على الماضي وأيامه   ما كان اسعدها واقصرها
فرت فرار لذيذ احلامه   لم تبق لي الا تذكرها
ايام انسى ما احيلاها   واحب صورتها الى فكري
قلبي يذوب جوى لذكراها   في اضلعي ، ومدامعي تجري

أرأيت الى هذه الرومنطيقية ألرقيقة المفعمة بالاحساس العميق وهذا الامتزاج بالطبيعة والانفعال معها، وكيف ان الطبيعة تحولت الى وشائج انسانية تربط فوزي الى بلده .

وفي موشح اندلسي رقيق يستغل فوزي الطبيعة استغلالا فنيا يفيض بالفنائية والقوالب البديعية والبيانية التي ترتاح اليها النفس . يقول :

ايا هزار الغدير ـ حييت بين الطيور ـ من نائح مستثير
بالنوح عطف الزهور
حيا الاله صباحك
اخذت عني نواحك ـ خذه وهات جناحك
اطر به في الاثير
لا غل قيد سراحك

وهو يريد ان يحلق ألى أقصى رحب الفضاء ، الى السديم ، بل الى ما فوق متن النسيم ، حيث يتحرر من الاثقال فيبدع ويصوغ الجمال :

اطر به في السديم ـ ما فوق متن النسيم ـ بين السماء والغيوم
اصوغ نثر النجوم
اصوغ دمع الغمامه
عقدا اجيد نظامه ـ لجيد خير حمامه
تحوز دون الريم
من البيان زمامه

ان فوزي كشاعر رومانسي ، لا يرى في الطبيعة ألا تعبيرا عن هذا الانفعال ، بل ان الطبيعة تغدو رفيقا وعزاء يخفف من تباريح آلامه . وفي شعره المجرد للطبيعة كقصيدة « نحن في نيسان » نتلمس ملامح الوجدانية ،

يسخرها للتعبير عن الذات بقالب شعري جميل ، لان شهر نيسان هو شهر الهوى ، يستثير عواطف الشاعر وغرامه . فقيمته تتعاظم بمقدار ما يولد في الشاعر انفعالا ، ولعل مطلع القصيدة يوحي بهذا المضمون :

نحن في شهر الهوى ، شهر الامل   نحن في نيسان

كل ما في الارض ، ما في الجلد   يستثير الوجد ـ يستدعي الهوا
حرقة النجم . انين الزبد   نفحة الزهر وانفاس الهوا

ولكن هذا المناخ الشعوري المتفتح يتألق في نفس الشاعر فيرى في الوجود ، وفي حركة الاغصان ، تنامي الحياة لما فيها من اشواق وحب :

وانظري الغصن على الغصن التوى   هكذا خصرك تلويه يدي
والهوا في مبسم الزهر هوى   راشفا مثلي لمى الثغر الندي

والجدول النائح يحمل الى العشب انة القلب الواله المتفطر ، وهو قلب الشاعر الشاكي من العناء والصبوة :

واسمعي الجدول للعشب نقل   انة الولهان

شاكيا مثلي تباريح العنا   حاويا مثلك كل الرونق
وانظري الليل تردى الشجنا   ماسحا مدمعه بالورق

فالطبيعة استحالت لديه الى « حالات » عاطفية شعورية فاستكان اليها وراى فيها ذاته ، واقبل عليها يخلو اليها ويناجيها ويبث الى قدسها آهة الجوارح وخفقة الجوانح . وهذا المفهوم للطبيعة لا بد ان يهيأ له جو رومانسي حالم ، بلغة حانية هامسة لتكون اقرب الى النفس واكثر تجاوبا مع الروح والقلب : كصور الاحلام ، ونامة النسيم ، ورقة الجدول ، وحفيف الاوراق ، وبسمة الزهور ، وسجو الليل ، وخفقات النجوم ، والطرف الساهي :

وانظري النجم على الروض اطل   ناعس الاجفان

ساكبا فوق صدور الزنبق   قبلات الوجد . قبلاتي انا
ساهي الطرف اليف القلق   خافق الاضلاع حبا مثلنا

و« هذا المناخ الرومانسي انين وحنين ينسجمان مع سكون الليل :

كلانا هنا يا ظلوم   دجى في دجى
على ان فيك نجوم   وما لي رجا
وليلك اما يدوم   ومهما دجا
يلاقي اخيرا صباح
ندى الهوى والجناح
وما لي صباح يرام

ان هذا الحنين من خلال الطبيعة يمثل الهروب النفسي من مغناة الشاعر للشقاء ، وهي حاجة ملحة في النفس ، بغض النظر ان كان هذا الشقاء ناجما عن مقاساة من المصاعب والاتعاب او بفعل الوان من العذاب النفسي والاشواق الروحية . ويتميز هذا اللون الشعوري بالصدق في العاطفة ويتولد عنه ابداع في الاخيلة والصور التي هي مزيج من الصور الحسية والرؤى الوجدانية .

فالطبيعة عند الرومنطيقيين كما هي عند فوزي ، تحيا وتتمجد وتصادق الانسان وتأسو جراحه وترعى احلامه . والرجوع فيها الى السهل والجبل والقرية ، والوادي ، والزهور هو ردة فعل بوجه الحضارة ، لان في الطبيعة كما فهمها الرومنطيقيون وفهمها فوزي ايضا عودة الى البساطة والنبل والى الاحساس العميق بالوحدة الشاملة.

ولعل قصيدة « هناك تحظى بمي » تكشف لنا عن سمو فوق الجزئيات اذ يقدمها لنا الشاعر من خلال حلم شعري امتزجت فيه الحقيقة بالخيال ، وتجسدت فيه الطبيعة الحية ، وانجلت مشاهدها على اختلافها مظاهر متعددة لجوهر واحدة .

وفي قصيدة « طاقة الزهر » يتحدث اليها فوزي حديث الرفيق للرفيق يحمله اعطر التحيات لفتاة القلب ، ويحدثها حاسدا لانها ستنعم بلذة لقائها والاستمتاع بالتوسد على صدرها ، ومن النهل من ثغرها :

سيري الى ..... الزاهرة   يا طاقة الزهر
عاطرة تهدى الى عاطرة   عطرا الى عطر

سوف تنامين على صدرها   يهنيك هذا الحظ لو كان لي
وتنهلين الشهد من ثغرها   يا نعم ذاك الثغر من منهل
وتحملين العطر من شعرها   وغور عبء الهم لم احمل
يهنيك هذا الحظ لو كان لي   في حبها المفضل

وفوزي اذ يقارن حالته بحالة طاقة الورد يبث جمود الزهرة حياة ويحولها الى كائن نظيره ، يغار منه لانه سيحظى بلقاء محبوبته . ومع ذلك لا يعثر على غير تلك الوسيلة يلجأ اليها ليحملها اعطر تحياته . وهنا تلوح لنا علائق انسانية تربط الانسان بالطبيعة . ويؤكد فوزي على هذا الموقف حين يقول :

يا باقتي كوني لها من يدي   رسالة صامتة ناطقة
يروي الندى في جيدك الاغيد   عن ادمعي السابقة اللاحقة
وترمز الوردة عن موقد   في اضلعي نيرانه عالقة
رسالة صامتة ناطقة   عن صبوتي الصادقة
تقرأ في اوراقها الناضرة   عن املي النضر
تنبئها الزنبقة الطاهرة   عن حبي العذري

هل هي باقة زهر ما تزال ؟ أم ان الباقة استحالت الى ذات الشاعر تنطق بمشاعره وتعبر عن اشواقه ؟ وهو في لجوئه الى الزهرة انما يلجأ الى الطبيعة كمنقذ للترويح عن النفس ، ومجتلى للاحزان .

غير ان الطبيعة عند فوزي لم تكن مشكلة فلسفية قط ، ولم تكن مدار تساؤل وحيرة ، بل رضي بها كما هي ، وبكل بساطة استعان بها على تفريج همومه ، يلوذ الى احضانها ويسعى الى احيائها في وجدانه . وكأنما راى في تشريح الطبيعة انتهاكا لحرمتها وتدنيسا لقداستها .

صموئيل عبد الشهيد

وانا بالباب ، انفرجت على الجدار امامي اربع عيون ، وتدلى مفتاح . تذكرت الدرج ، ارجو أن لا اكون قد تركته مفتوحا . وفي حقيبة يدي وجدت المفتاح مسترخيا على منديل ورقي . ولكن ربما اخطأت اقفاله .

لا شيء في الدرج .. لا شيء مهم على الاطلاق . صحيفة يومية ، بعض مجلات الاسبوع ، واوراق ، اوراق بيض . ومع ذلك لا بد أن يكون الدرج مقفلا . والتثبت من الامر اسهل من مواصلة القلق وعدت الى الدرج . فوجدته مقفلا .

في الشارع زرع مائة عين في وجهي .. نظرت فيه لحظة فتسلق وجهك الغاضب عنقه وانتشر في وجهه ، لم يعد هو .. ولم يصبح انت .

تحركت يد محت الوجه المزدوج. تكلمت اليد ، ولم يقل الطفل شيئا. ربما كان معي قطعة نقود صغيرة . اذن فلننته من هذه اليد . احب هذا الغضب . سأمهد له، واستثيره حين لا يأتي ، وكانت يدي تعالج مفتاح الحقيبة .

ترى اذا كنت قد نسيت حافظة نقودي . لكن هذا لم يحدث من قبل فلماذا يحدث الان ؟

ها هي اذن ..

وابتهج الطفل بقطعة النقود .

حسنا لم انسها .. لو حدث ذلك لكنت في وضع مربك .

ــ ادفع ثمن تذكرتين .. نسيت محفظتي .

لكنك لن تكون هناك ، وساعتذر للمحصل واترك السيارة عند اول محطة وقوف .

وتوهج لون قميصك على قطعة النقود بينما انسحب المفتاح الى موضعه . لم يبد اي منكما حقيقيا .. كنت وقطعة النقود خيالا ساذجا.

ــ لو قدر لي فلن اغرق الا في بحر عينيك .

وكنت بحاجة الى شاهد .. من يريد ان يغرق في ماء آسن !! ولم تأت بشاهد .

واحدة من الشقائق البرية .. وتحرك الماء الآسن في عيني واستعادتا لون البحر . غير ان السنة كانت موسما واحدا وحسب، صيفا طوله ثلاثمائة وستون يوما . جففت شمسه ماء البحر .. وتحول الى صحراء .. من يريد ان يموت في صحراء ؟

ــ انا اريد .

وفي المساء نبتت في الصحراء نخلة .

ــ قولي كلمة واحدة .

وقلتها مرات .. ثرثرت كثيرا .. وفي اليوم التالي بحثت عن كلماتي بين سطور صحيفة يومية ..

السكنى في صدفة

بقلم سالمة صالح

كان قد التبس علي الامر .. ظننتها قصيدة قراتها منذ حين ، في مكان ما .

ــ يا نائلة ..

وتكرر النداء مرتين .. من غيرك يعرف اسمي ! لا بد انها كانت مزحة .

وكنت محارا خائفا .. انسحبت الى الداخل .. ولم يكن في رئتي ما يكفي من الهواء .. ومع ذلك لم امت اختناقا .

ــ يا نائلة .. انا

المزحة نفسها مرتين .. وضحكت انا .



ــ اية مزحة ايتها المجنونة ؟

وكنت غاضبا .. حاولت ان تبدو اكثر لينا .

ــ يا نائلة ..

كان هذا اسمي حتى صباح اليوم والان يبدو ان ذلك لم يكن حقيقيا . ربما كنت الان شخصا اخر .. اسما اخر ...

واستدرت نحوك ربما ساعدتني في العثور على اسمي ، لكن وجهك الاخضر كان غائما . «ازرق+اصفر» ولم استطع ان امنع امتزاج اللونين .. وجهك والقميص .

ــ اود لو اغرق في .

ــ اعرف امراة كانت تتمنى ان تموت غرقا .

ــ لكني اريد ان .

ــ ولم تمت غرقا .. تحولت ذات مساء الى دمية من خشب الزان ، واشتراها سائح شاب .

في الحي تحدثوا عنها ليلتين ، ثم نسيها الجميع .

ــ اما انا فلو قدر لي لن اغرق الا في بحر .

وانحسرت مياه البحر .. وجفت النخلة في الصحراء .

ونادى رجل اخر :

ــ يا نائله..

هو الاخر يعرف اسمي .. قال :

ــ سبع سنين .. ولم يعد الانتظار مسليا .

ــ لكني لا اعرفك .

ــ اما انا فاعرفك .

وعدت محارا خائفا .. ولم ينتظر .. حمل المحار والصدفة .

تذكرت المراة التي تحولت الى دمية من خشب الزان .. وكانت تريد ان تموت غرقا .

ونهضت واقفا ، لم تحاول شيئا . كان صوتك حاقدا هذه المرة :

ــ لا اريد ان اموت في صحراء .

ولم تبد حقيقيا هذه المرة ايضا ، كما لم تبد حقيقيا ابدا . وجهك الاخضر .. صوتك .. و ..

احبك

الى القريبة البعيدة

★

احبك والمروج تكاد تروي … غرامي في السهول وفي البطاح
ويدنيني اليك هوى خفي … يصور لي خيالك في الرياح
والمح في الرؤى وجها تجلت … محاسنه الي بلا وشاح
فلا كالحب معجزة تباهت … بها الاكوان في شتى النواحي
به الدنيا تضيء بكل أفق … بسحر مشرق اللمحات ضاح

احبك حيث تستعصي المعاني … عن التعبير في القول الصراح
فاشرق بالحديث جوى كصاد … بقفر غص بالماء القراح
قربت وقد بعدت على مرادي … فوصلك ليس بالشيء المتاح

بحق هواك زورني خيالا … فطيفك في الدجى يشفي التياحي
اما يكويك في الذكرى حنيني … اما تدميك في الشكوى جراحي ؟
سيتركني هواك على الروابي … عبيرا للبنفسج والاقاحي
واغنية تنوح بها الشوادي … وترويها الرعاة على البطاح
فافنى في الفضاء وليس يبقى … لروحي غير صوت في الرياح
اذا ما طاف مشتاق بواد … تسمعه رنينا في الصباح

البحرين — احمد محمد آل خليفة

وعلى الجدار كانت العيون الاربع قد تناسلت .. تحول الجدار الى عيون فقط .. **مئات العيون** .

وعدت ابحث عن مفتاح الدرج في الحقيبة . كان علي ان اتحسسه باصابعي لاطمئن الى انه موجود .

وفي ضميري استيقظت المراةالتي تحولت الى دمية من خشب الزان .. لو عادت الدمية امراة فوجدت نفسها بصحبة السائح الشاب ماذا يحدث ؟

قالوا عن الرجل الاخر :

وضع المحارة في الدرج واقفل عليها .

قالوا :

اراد أن يحرر المحارة من الصدفة فتفتت الصدفة وماتت المحارة .

قالوا :

ظلت المحارة في الداخل ، وظل يتلهى بالصدفة .

لكن ذلك لم يكن حقيقيا .. فقدت المحارة اسمها وحسب .

المفتاح ما زال مسترخيا على المنديل الورقي وحين يريد احدهم ان يعرف ما في الدرج سيجده مقفلا .

بغداد **سالمة صالح**

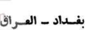
عبث

صفاء الحيدري

بغداد ـ العراق

وأرتاع شيء في كياني
وهـوى جنـانـي
وفقدت حسـي بالزمان .. وفي ثواني
كانت ملايين الرؤى تهوي لهاوية عميقة
ومـدى دقيقـة
تركـت فمـي الايدي الدقيقة
وصعدت من أعماق فقداني الى سطح الحقيقه
وبـلا حنـــان
أقصيت عنـي كـل رغبـه
ـ .. ..
شيء أبـاد لـه المحبـه

كنت أختصرت طريقي الدامي وعدت بدون صحبه
في عالم مـا كان يمكن ان أحبـه
ومعصبـا بـدم الجبـين
راحت يداي تلمسان جدار طيني
ومضيت ابحث فـي الظنـون
ـ .. ..
عن سره العاصي اللعـين
وضميره القاسـي الحجـر
عن حائط بـين السنـين
ترك الزمـان عليه كفـا كالشرر
حمراء داميـة الاثـر
تبكي وتضحك في صور



وبعالم قاس يعيش على يديه
ضجر ، يطحلب ما عليه
أدليـت دلـوي في الحفـر
وبكل هاوية يقيم بها الخطر
أخذت يداي معا تشدان الوتـر
لم ابـد خوفـا او حذر
لا الدلو عـاد ولا يداي أصابتا كبد الحجر
وفقدت انساني ، وعدت كما بدأت من الصفر
من دون شمس او قمر
أتعكز الماضي وامشي في الظلام مع العبر
ومع التعابير الرشيقـه
أيـن الحقيقـة ؟
أين العذوبة في النمير العذب في البئر العميقه
أين أبتسام الطفل في الايدي الرفيقه
أين البراءة يـا صديقـه
أيـن الخفـر !
لا شـيء الا ما سـطر
ـ .. ..
بعـد النظـر
قصر النظـر



من اعلام الفكر والادب في فلسطين

محيي الدين قطينة ـ طلعت السيفي
جلال زريق

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ محيي الدين قطينة

الشعار الذي يردده « محيي الدين » منذ نزوحه عن بيت المقدس ، وذرعه بلاد الناس ... لاجئا .... قول الشاعر :

يا مسقط الرأس والارحام تجمعنا   حاشا تغيرني في حبك الغير

ولد « محيي الدين » في القدس الثكلى سنة ١٩٠٧ وأنهى علومه الابتدائية والثانوية في كلية « روضة المعارف » بالقدس سنة ١٩٢٧ وقرض الشعر في سن مبكرة بتشجيع الشيخ نديم الملاح استاذ الادب العربي في كلية « روضة المعارف » عهدذاك .

وفي سنة ١٩٢٧ التحق بالجامعة الاميركية في بيروت في عهد عميد كلية الاداب نيكولي واشتهر بين لداته واساتذته بأدبه التهكمي الساخر ، وله في هذا المجال صولات وجولات !

وخلال دراسته الثانوية والجامعية شرع في نشر القصائد والمقالات السياسية ، (بلا توقيع) في « الصراط المستقيم » اليافية و « الجامعة العربية » و « الوحدة » المقدسيتين .

وتحت وطأة ظروف سياسية ترك الجامعة الاميركية في بيروت والتحق بالجامعة الاميركية في القاهرة سنة ١٩٢٩ في عهد رئيسها واطسون واسس مع زميليه في الجامعة عبد الحميد ياسين وشفيق ترزي « نادي الطلبة الفلسطينيين » بالقاهرة وكان يحرر عمودا بالانكليزية في مجلة « كرافان » التي يصدرها طلاب الجامعة الاميركية في القاهرة .

وفي سنة ١٩٣١ نال درجة بكلوريوس في العلوم الاجتماعية وانتخب خطيبا لحفلة تخرجه مع زملائه من الجامعة ، وكان من اساتذته احمد حسن الزيات والدكتور امير بقطر . وبعد ان عاد الى مسقط رأسه عين موظفا في « المعرض العربي الفلسطيني » الذي اقيم في عمارة الاوقاف الاسلامية بالقدس سنة ١٩٣٢ .

وفي سنة ١٩٣٤ عين مترجما في « مكتب الترجمة » التابع للسكرتيرية العامة في القدس واشترك مع نفر من الشباب العربي المثقف في ترجمة « مجموعة القوانين الفلسطينية » المعروفة باسم « مجموعة درايتون » المستشار القانوني لحكومة فلسطين ، واشتهر « محيي الدين » بين زملائه بدقة الترجمة والعبارة المشرقة والخط الجميل .

وظل يعمل في « مكتب الترجمة » هذا الى أن وقعت المأساة الاولى في فلسطين سنة ١٩٤٨ فهاجر الى دمشق وعمل مترجما في وزارة الزراعة السورية ، وما لبث ان استقال من عمله هذا وعمل في قسم الصحافة بالسفارة الاميركية بدمشق من سنة ١٩٥٢ الى سنة ١٩٥٥ ، وفي هذه السنة استقال من عمله هذا وعاد الى عمان بالاردن ، وعين مديرا لدائرة الانشاء التعاوني بوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل . ثم رئيسا لمجلس ادارة المعهد التعاوني ، وتولى رئاسة تحرير مجلة « التعاون في الاردن » التي أصبحت « صوت التعاون » فيما بعد .

من آثاره القلمية : كتب « محيي الدين » عشرات المقالات ونظم عشرات القصائد التي آلت الى الضياع . ومن اثاره المطبوعة :

١ علاقة الحركة التعاونية بالارشاد الزراعي ،

٢ ـ الحركة التعاونية في المملكة الاردنية الهاشمية (١٩٦٣) .

٣ ـ دليل المرشد التعاوني (مترجم) ١٩٦٤

ومن آثاره المخطوطة :

١ ـ « عاشق الليدي تشاترلي » للكاتب الشهير د. هـ. لورنس (مترجم)

٢ ـ « الخطأ والتجربة » للدكتور حاييم وايزمن (مترجم)

نموذج من شعره : اشتهر « محيي الدين » بقرض الشعر الفكاهي والقومي ، لكن جل منظومه سلك طريق التيه والضياع ... ولا نملك منه سوى الشذرات التالية :

كانت تقوم في الجامعة الاميركية ببيروت جمعية ادبية عرفت باسم « العروة الوثقى » ، تصدر مجلة باسمها وتستكتب فيها الاعضاء وتنشر انباء النشاطات الادبية والثقافية في الجامعة ، وكان « محيي الدين » من اعضاء هذه الجمعية وسكرتيرا لتحرير مجلتها ، كما كان يمارس نشاطا ادبيا ملحوظا ويتحف الاجتماعات والندوات والمجلة ببعض منظومه .

وكانت تربط بعض طلاب الجامعة من الفلسطينيين خاصة رابطة اجتماعية ترويحية اطلق عليها اسم « التفتزانية » ، وكان من ابرز أعضائها راسم الخالدي والدكتور رأفت فارس والدكتور محمد الدجاني (من فلسطين) وصبيح وهبي (من العراق) وكان « محيي الدين » من اعضائها . ثم اخذت ادارة الجامعة تنظر الى هذه (الرابطة) نظرة شك وحذر ... وامرت بتجميد نشاطاتها واجتماعاتها تحت سقف الجامعة ، وذات يوم داعب « محيي الدين » زملاءه في هذه «الرابطة» بقوله :

هام قلبي ب « آتان »   يوم كنا في الرهان
تيمته حين خبت   خبة الغر الجبان
وتثنت ثم دلت   بثناياها الحسان
فاجيزوا الشعر هيا   يا رجال « التفتزاني »
واشكروا الناظم اذ هو   علم الحمر الاغاني !

وخلال عمل الشاعر جلال زريق والشاعر محيي الدين قطينه معا في « مكتب الترجمة » بالقدس اطلق اليهود الرصاص على «بغل» يملكه « محيي الدين » في مزرعته الكائنة في قلندية ـ بالقرب من مطار القدس ـ فهال « جلالا » المصاب ... وبادر الى تعزية زميله المفجوع بابيات لم تع الذاكرة منها سوى قوله :

مات في ميعة الصبا   طول الله عمركما

وختمها بقوله :

فلئن مات بغلكما   فهو حي بشخصكما !

فرد « محيي الدين » عليه بأبيات من نفس الروي والوزن والقافية، وقد وعت الذاكرة منها قوله :

ان يكن للبغل ارث   فهو لا شك لكما !

ولو قدر للمعني بالادب العربي المعاصر جمع منظوم «محيي الدين» الفكاهي لربح ادبنا المعاصر الوانا زاهية من الشعر الساخر !

نماذج من نثره : « أما الهدف من التعاون فهو رفاه التعاونيين وخيرهم ، ومهما كان الدخل القومي عاليا ، ومهما كانت الارباح كبيرة في بلد من البلاد ، فانها لن تجعل الاقتصاد فيه سليما ما لم توزع هذه المنافع على الافراد في أوسع نطاق ، وما لم تساهم هذه المنافع مساهمة

فعلية في سعادة الشعب ورفاهيته . « واذا ما ربطنا بين الاتجاهات الاقتصادية ، والاتجاهات الاجتماعية والرفاهية ، يتضح لنا ان الازدهار الاقتصادي لن ياتي بصورة مستمرة او تلقائية بالازدهار الاجتماعي المطلوب لجميع السكان صغيرهم وكبيرهم ، وكذلك الامر لو عكسنا هذه الصورة ، فان التقدم في الرفاه للصغار الكبار لا يجلب معه دائما او تلقائيا تحسنا فعليا فيالانتاج او في المنافع الاقتصادية المبتغاة . ولا شك ان هنالك علاقات متشابكة وتفاعلات متواشجة بين الناحية الاجتماعية والناحية الاقتصادية » ولذلك لا يتمكن المخطط من أن يحصر جهوده في الناحية الاقتصادية وحدها ، دون النظر بعين الاعتبار وعلى قدم المساواة الى الناحية الاجتماعية والعكس بالعكس اذ يجب ان يقوم التخطيط على خطين متوازيين ومتساويين : الخط الاقتصادي والخط الاجتماعي ، والا فالفشل سيكون حليف المخطط ان فضل ناحية على اخرى ، او اهمل احداهما .

وان التحول او الانتقال الى مرحلة النمو الاقتصادي يحدث بالتدريج وخلال فترة طويلة من الزمن . ومع ان الاتصال بالمجتمعات التكنولوجية المتقدمة هو شرط اساسي للاسراع في عجلة التقدم التقني، فان هذا التقدم لا يقع من جراء هذا الاتصال وحده . ففي بعض الاقطار لم يحدث التقدم التكنولوجي بعد فترة طويلة من الاتصال ، وفي غيرها حدث التطور في فترة اتصال اقل ، ذلك ان التطور في البلاد النامية يحتاج الى درجة عالية من الابداع والخلق . والابتكارات المطلوبة ليست تغييرات تقنية اقتصادية ، ولكنها في ذاتها تغييرات اجتماعية . والاسباب المؤدية الى هذه التغيرات يجب ان تكون قوى مؤثرة تأثيرا فعالا في مجالات عديدة للسلوك الانساني . والقيادة في هذه الابتكارات الجديدة لا يقوم بها افراد قياما عشوائيا ، بل أعضاء جماعة واحدة او اكثر من جماعات المجتمع . وهذه الجماعة ليست الجماعة التي تكون في افضل وضع تمكنها من الاتصالات بالاقطار الخارجية او تستطيع الولوج الى المعلومات الجديدة او الحصول على رأس المال .

وقد رأى المفكرون ان الحركة التعاونية ، بوصفها منظمة ذات أهداف اقتصادية واجتماعية ، وبوصفها جماعة ذات تنظيم ومثل ، تستطيع في اثناء تطورها القيام بهذه التغييرات والقبض على زمام المبادرة في هذا الحقل ...

اما الطريق فقد اوضحته المبادىء : منها التعليم ، ثم التعليم ، ثم مواصلة التعليم ، ثم التوسع في التعليم . ذلك ان أية حركة ديناميكية غايتها التوسع والانتشار وخلق الدعاة لا بد وان تجعل التعليم هدفا من أهدافها » .

٢ ـ طلعت السيفي

آمن « طلعت » بالانسانية ايمانا عميقا ، وظل يردد مع سلامة موسى قوله : « العلم هو الذي يجعلنا انسانيين في الادب ، لانه يحملنا على التأمل ثم التفكير ، كما يحملنا على المقارنة ، فيكون الغضب ، ويكون الالحاح في المطالبة بالاصلاح ، واديب بلا علم هو اديب بلا انسانية ! ».

ولد « طلعت » في بيت المقدس ودخل المدرسة الابتدائية في سن مبكرة ، وبعد ان أتم دراسته الابتدائية والثانوية قصد الاستانة خلال الحرب العالميةالاولى ، والتحق بمدرسة سلطاني المرجان ، وما لبث ان عاد الى القدس وزاول التعليم ، وبعد ان دخلت فلسطين تحت الانتداب البريطاني عين وكيلا لمدير مدرسة طولكرم فمديرا لمدرسة بير السبع الاميرية ، وفي عام ١٩٢٤ نقل مديرا لـ « مدرسة التطبيقات » الاميرية في بيت المقدس وأولى هذا المعهد كل نشاطاته وجعل منه المدرسة الانموذجية الوحيدة في فلسطين . وكان صف المعلمين في الكلية العربية يتمرن فيها على أساليب التعليم الحديثة ، تحت اشراف المربي المرحوم أحمد سامح الخالدي .

وتميزت « مدرسة التطبيقات » هذه بالتربية الصحيحة والصدق في القول والعمل . ومن مآثر الاستاذ السيفي انه علق في احدى ردهات هذه المدرسة صندوقا مقفلا ليودع الطلاب النقود التي يوفرونها ويسجلوا في دفتر خاص المبالغ التي اودعوها الصندوق دون اية رقابة ، وبعد انتهاء ساعات الدراسة يجمع المعلم المسؤول المبالغ المودعة فيجدها مطابقة للمبالغ المسجلة .

وخلال ادارته « مدرسة التطبيقات » التحق بالكلية الانكليزية بالقدس المعروفة بـ « كلية الشباب » وانهى صف « الجونيور » كما اجتاز امتحان المعلمين الاعلى والتحق بصف التربية في الكلية العربية ، وكانت له نشاطات في القطاعين الاجتماعي والرياضي واسهم في التمثيل والموسيقى .

وفي عام ١٩٣٩ سادت الاضطرابات انحاء فلسطين فاعتقل «طلعت» مع عشرات من اخوانه العرب وامضى في المعتقل عامين ، وبعد الافراج عنه أعيد مديرا لثانوية صفد ثم مديرا لثانوية طبريا .

وبعد حول النكبة الفلسطينية الاولى (١٩٤٨) نزح الى دمشق وعين استاذا للغة الانكليزية في دار المعلمات بحلب وبعد سنة امضاها فيها نقل الى دمشق استاذا في التجهيز وفي « معهد دوحة الادب » .

وفي عام ١٩٥٣ كلفته السلطات الاردنية العودة الى الاردن وعين مديرا لثانوية الحسين بن علي في الخليل فمفتشا للوائي الكرك ومعان فمفتشا للواء نابلس فمفتشا في وزارة التربية والتعليم .

وفي عام ١٩٥٩ عين ملحقا ثقافيا في السفارة الاردنية بالقاهرة فملحقا في السفارة الاردنية بدمشق . وفي أعقاب عام ١٩٦٣ نقل مفتشا في وزارة التربية والتعليم فموجها تربويا في لوائي البلقاء والزرقاء فمديرا للتربية والتعليم في لواء إربد .

اشتهر « طلعت » بين لداته بالدعابة والسخرية وخفة الروح ، ونشر فصولا في الادب الساخر مع التركيز في بعض الاحيان على المصلحة العربية العامة . ومن الموضوعات التي نشرها في جريدة « الدفاع » عام ١٩٥٥ :

١ ـ مشاهداتي في جهنم ،
٢ ـ عندما اعود الى الحياة مرة ثانية بعد ٦٣ ألف سنة ،
٣ ـ ونحتاج الى عقلية فيران ،

ففي الموضوع الاول يتخيل « طلعت » انه رأى محكمة في جهنم وهي تحاكم الذين تآمروا على أمتهم ، فصدرت أحكام قاسية عليهم هي الحرق المؤبد في جهنم .

وفي الموضوع الثاني يتخيل « طلعت » انه قصد ذات يوم الاخرة واختلط باهلها ، فرووا له السلوك الشائن الذي سلكه بعض ذوي الشأن في امتنا ، واوصوه بأن يهتم الاحياء من العرب بالاخلاق ويتسلحوا بالمعرفة .

وفي الموضوع الثالث يركز « طلعت » على أساليب بعض رجالنا في التفكير وانصرافهم الى نمط منه فيفشلون ، ولو انهم قلدوا الفيران بالتفكير في التجربة والخطأ ، تلك التجربة المعروفة في علم النفس ، لاصابوا تفكيرا صحيحا يضمن لهم النجاح في تفكيرهم السياسي والادبي والاجتماعي .

وعالج « طلعت » موضوعات طريفة في بعض المجلات العربية ، ومن هذه الموضوعات « جنة حسن الصباح والحشاشون في حارورة » كما أذاع احاديث تهكمية ساخرة مثل « بالطو يتكلم » و « ادارة الشخصية في الحياة » .

نموذج من نثره : أحب « طلعت » الفيلسوف والفنان الناقد برنارد شو الذي مزج السخرية بالنقد ، وبعد مرور خمسة عشر عاما على وفاة هذا الاديب الساخر كتب « طلعت » يقول :

« في صفحات التاريخ ، قديما وحديثا ، كتاب وادباء وعلماء كثيرون بلغوا في عصرهم شأوا بعيدا من الشهرة والمجد ومع ذلك لم

تكد تمضي على وفاتهم سنوات قليلة حتى لفهم النسيان الى الابد ، ذلك ان مقومات الخلود في العالم او الكاتب او الاديب هي مقومات لا ترقى اليها الا القلة من العباقرة والنابغين ، ولا شك في ان برنارد شو هو واحد من هذه القلة !

توفي برنارد شو عام ١٩٥٠ وهو في الرابعة والتسعين من العمر ، وها قد مر ١٥ عاما على وفاته لكن ذكراه لا تزال حية في النفوس من خلال عشرات الروايات التي كتبها والتي يقرؤها الناس في كل مكان من العالم بلذة وشغف وكأنها قد صدرت منذ عام أو أقل .

كان برنارد شو يثير غضب الكثيرين بآرائه المتطرفة ولكنه كان يتمتع بقدرة عجيبة على ادخال السرور على قلوب اولئك الذين يهاجمهم بنكاته اللاذعة الساخرة المشبعة بالحيوية . وهو من الكتاب القلائل الذين كانوا يزدادون كفاءة وبراعة وابداعا كلما تقدمت بهم السن . فحينما كان في الاربعين من عمره لم يكن قد اشتهر بعد كروائي ، بل كانت تقتصر شهرته ، حتى تلك السن ، على براعة النقد . اما الروايات القليلة التي كان قد أصدرها حتى ذلك الحين لم تلق الا استجابة محدودة في اوساط المثقفين فقط .

على ان روايات برنارد شو تحتل اليوم منزلة الصدارة في معظم المسارح الكبرى في العالم ، وعندما تالفت الفرقة المسرحية الوطنية بلندن كان في طليعة الروايات التي مثلتها رواية شو المعروفة ((سان جون)) ، كما مثلت هذه الكوميديا الشهيرة في مهرجان ادنبره الدولي ، وقامت فرقة برمنغهام المسرحية بعرض شامل لروايات شو أتبعتها برحلة تمثيلية الى اوربا .

ولعل ابرز نجاح صادفته روايات شو اخيرا هو الذي لقيه تمثيل روايته الشهيرة ((بيغماليون)) التي ظلت تمثل على المسرح ثلاثة شهور متواصلة ، ثم الرواية المعدلة عنها ((سيدتي الجميلة)) التي لقي تمثيلها المسرحي نجاحا رائعا في لندن ونيويورك ، ثم اخرجت على شكل فيلم سينمائي لقي نجاحا منقطع النظير في شتى انحاء العالم .

٣ – جلال زريق

الذين زاملوا ((جلالا)) وصحبوه على دروب هذه الدنيا يؤكدون ان الشعار الذي كان وما زال يردده قول الشاعر :

أني غير مختار وفارق مضطرا   ولم يك لما عاش في امره حرا !

ولد ((جلال)) في اللاذقية سنة ١٩٠٢ وانهى دراسته الابتدائية والثانوية في مسقط رأسه ، وفي سنة ١٩٢٠ التحق بالجامعة الاميركية في بيروت ونال شهادة بكلوريوس علوم سنة ١٩٢٤ واشتهر بين أقرانه بالذكاء المفرط والجمع بين العلوم والاداب . فبينما كان مبرزا في الجامعة بالرياضيات كان علما في قرض الشعر وولوج حلبات الهجو والقاء الشعر القومي في جمعية ((العروة الوثقى)) . وكانت الصحف التي خصها بنفثات قلمه ((الهلال)) و ((الاحرار المصورة)) و ((فلسطين)) و ((التربية والتعليم)) البغدادية .

وكان من نصيب فلسطين ، بعد الاحتلال البريطاني ، ان امها نفر من الشبان العرب الواعين وفي طليعتهم ((جلال)) الذي احب البلاد المقدسة وتفاعل مع اهلها وهام بثراها الطهور . فبعد ان أنهى دراسته الجامعية عين استاذا للرياضيات في ((دار المعلمين)) بالقدس في عهد رئيسها المربي المرحوم الدكتور خليل طوطح . وعقب سنة دراسية امضاها في هذا المعهد يمم بغداد وعين استاذا للرياضيات في ((دار المعلمين العليا)) وفي ((كلية الهندسة)) وكان من زملائه في سلك التعليم محمد العدناني وفريد السعد ونافذ الحسيني وعبد الحق عبد الشافي ، وكلهم من صفوة الشباب الفلسطيني الواعي .

وفي سنة ١٩٣٠ عاد ((جلال)) الى فلسطين مديرا لكلية النجاح الوطنية بنابلس ، وبعد ان تولى ادارتها مدة سنتين عين استاذا للرياضيات في ((الكلية العربية)) بالقدس في عهد رئيسها المرحوم أحمد سامح الخالدي . ونظرا لتضلعه من العربية والانكليزية نقل موظفا كبيرا الى مكتب الترجمة ، احد فروع السكرتيرية العامة بالقدس ، وأمضى فيه اثني عشر عاما (١٩٣٣ – ١٩٤٤) . وبعد احالته على التقاعد قصد سوريا وعين مديرا عاما للاعاشة والتموين في دمشق ، وفي عام ١٩٤٥ نقل مفتشا عاما فامينا عاما لوزارة التربية والتعليم بالاضافة الى أمانة السر في الجامعة السورية في عهد المغفور له شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية الاسبق . وفي اوائل عام ١٩٤٩ عين مديرا عاما للبرق والبريد والهاتف في الجمهورية العربية السورية .

وفي عهد اديب الشيشكلي رئيس الجمهورية السورية الاسبق ترك العمل في سورية وعين في منظمة اليونسكو بباريس وشغل وظيفتين هما :

الاولى : رئيس قسم الترجمة العربية لمعرفته ست لغات هي : العربية والتركية والانكليزية والفرنسية والالمانية والعبرية .

الثانية : ضابط ارتباط بين اليونسكو والدول العربية .

وفي عام ١٩٦٤ ترك باريس وهبط بيروت متقاعدا ، يستعيد فيها ذكريات الشباب ، ومطارحات الاحباب .

من اثاره القلمية : صال ((جلال)) في كل ميدان من ميادين العلم والادب والاقتصاد ، وصنف كتبا وعت الذاكرة منها :

١ مبادىء علم الهيئة (في علم الفلك) ١٩٢٧ .
٢ – الحساب للمدارس الثانوية – ١٩٢٧
٣ – الهندسة الفراغية – ١٩٢٨ .
٤ – الهندسة المستوية (جزآن) ١٩٢٩
٥ – علم الجبر (جزآن) ١٩٢٩
٦ – اميل ، تاليف جان جاك روسو (مترجم) ١٩٣٠ .
٧ – الانفجار السكاني (مترجم) ١٩٦٥
٨ – التربية الصحية في الريف (مترجم) ١٩٦٦

وفي ١٣ – ١٢ – ١٩٦٩ فاضت روح هذا البلبل الفريد في مدينة بيروت ونقل جثمانه الى اللاذقية ودفن في مقبرتها .

نماذج من شعره : مال ((جلال)) بفطرته الى قرض الشعر وابرز الالوان التي اشتهر بها : الهجاء والغزل . ومن بواكير شعره قصيدة نظمها سنة ١٩١٥ ونشرتها ((الهلال)) في مكان بارز من صفحاتها ، كما نشرت هذه المجلة سنة ١٩٢٢ قصيدة من نظمه عرفنا منها قوله :

مرتع الآرام رواك الحيا   وسقى واديك منهل السحاب
هل يعيد الدهر أيام الصفا   فيك أم تصدق احلام الشباب ؟

ومن فرسان الشعر الذين جاذبهم ((جلال)) حبل الهجو الشاعر الكبير ((بدوي الجبل)) ، ومن الشعراء الذين أحبهم وأحبوه خلال اقامته في بغداد : معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي .

وفي فلسطين تفاعل ((جلال)) مع رهط من ادبائها ، كان في طليعتهم اسعاف النشاشيبي وابراهيم طوقان و ((أبو سلمى)) فكانت لهم ليال ملاح من الانس والمرح ، وندوات من الشعر والمباسطات .

وذات ليلة جلس ((جلال)) في شعيب ناء عن الناس في ((البقعة التحتا)) بالقدس ، يستمتع بمفاتن الطبيعة وبصوت المطربة ماري عكاوي ، وامير البزق عبدالكريم يشنف الاذان برنات بزقه ، وهنا بهر ((جلالا)) صوت ماري الشجي ... فنظم قصيدة جاء فيها :

يا جارتي ((ليلى))   يا بهجة العين
شبابك الريان   أحييا صباباتي
ولحظك النشوان   غير حالاتي
ناشدتك القربى   لا تنفري غضبى
فالعتب والعتبى   لم تبق لي حيلا
يا جارتي ((ليلى)) !

سمعت ماري هذه القصيدةالعذبة ولملحنها اميرالبزق عبدالكريم اندفعت تغنيها بصوتها الحنون ... ومحطة الاذاعة الفلسطينية

تلفون

رن صوت الجرس المهووس ..
والوقت غياب .
ما لها سماعتي الورد
ارتعاش واضطراب !
صوتها ! تعرفه سماعتي
صوت العتاب
جاء من حنجرة الضوء
ومثل الضوء ذاب ..
يتفاوى .. دلع الناي ،
واغماء الرباب ..
ماج فيه حبق الزهو
وريحان الشباب

لحظة بيضاء !
أفديها سؤالا وجواب
مر في بالي ربيع
هز خصريه .. وغاب
تاركا فاصلة حيرى ،
وسطرا من ضباب ...

راجي عشقوتي

تبثها على الاثير ، فلاقت أبيات « جلال » هذه هوى في قلوب أهل الادب ، وعشاق الطرب ، وتناقلتها الصحف والاذاعات في دنياالعرب !

وفي « بيت المقدس » المدينة التي أحبها « جلال » نظم سنة ١٩٢٤ أبياتا تفيض وجدا وهياما بالبلد الذي أحبه وآثره على بلاد الناس :

تريدين أن أسلو هواك وأنتهي ... وهل ينتهي قلب عليك يذوب
فديتك لا سري عليك بمغلق ... ولا نزعات النفس عنك تغيب
واني ليضنيني ادكارك نائيا ... فكيف احتيالي والمزار قريب
الم تعلمي يا قرة العين انني ... اذا نابني بؤس اليك أنيب
وان سلوي عنك ان حان حينه ... فليس لنفسي في البقاء نصيب
تمني على قلبي سوى البعد منية ... فان فؤادي ان دعوت يجيب
ولا تضجعي الملهوف في سلوة الهوى ... فكل حياة العاشقين خطوب
سقاك الحيا ان تاب غيري عن الهوى ... فقلبي عن حبيك ليس يتوب
فلا كان عيش ليس فيه تعلل ... ولا كان قلب ليس فيه حبيب

وفي مناسبة مؤاتية اوحت ربة الشعر ل « جلال » بابيات نابعة من قلب لوعه الهوى .. وشفه الوجد ... ففنتها « ماري » .. ولحنها امير البزق عبد الكريم :

ضيعت عهدي بعد ما لج الهوى ... في مهجتي الحرى واضناني الجوى
ما ضر لو خالفت يا ظبي اللوى ... طبع الحسان وصنت ميثاق الهوى

اعملت سحرك في صميم حشاشتي ... فبعثت من طي الضلوع صبابتي
حتى اذا أسى هواك علالتي ... حملت ضعفي كل أوزار الهوى
يا معرضا عني وفي قلبي عليك ... وجد اذا أعرضت ناداني اليك
أودعت آمالي وحظي في يديك ... فاحكم بما تمليه احكام الهوى !

صبر الكرام على الاذى علمتني ... والصاب مع حلو الشراب سقيتني
فلئن وصلت فمنة من محسن ... واذا هجرت فتلك أخلاق الهوى

ول « جلال » في شعر الفكاهة والدعابة جولات وصولات ... ومن ذلك ان صديقه الاديب الشاعر محيي الدين قطينه احتسب « بغلا » كان يقتنيه في مزرعته الواقعة في « قلندية » قرب مطار القدس ، وذات يوم جندل القناصة اليهود « البغل » برصاص غدرهم ... فهال «جلالا» المصاب ... ونظم ابياتا داعب بها زميله الاستاذ قطينه .

وخلال اقامة « جلال » في القدس تلقى برقية من شقيق له مقيم في مدينة اللاذقية أشعره بدنو اجل والدته ، فخف للقائها قبل أن تلحق بربها ، وفي الطريق اليها نظم أبياتا تفيض عاطفة وحنانا :

سعيت اليك أنتهب البراري ... وقلبي بالترقب مستطار
لابصر نور ذياك المحيا ... تغير عليه احداث كبار
وترهقه تصاريف المنايا ... ويغشاه من النزع اغبرار
فيا اماه بعدك من يرجى ... ومن يولي الحنان ومن يغار
وحبك خالص لا ريب فيه ... وحب الغير ليس له قرار

وفي الثاني عشر من شهر ايار ١٩٤١ نعت الصحف والاذاعات العربية شاعر فلسطين المرحوم ابراهيم طوقان ، وتناهى نبأ المصاب الى « جلال » عشير صباه ورفيق دربه ، فبكاه بقصيدة من عيون المراثي ، والقاها في حفلة تابين « ابراهيم » التي أقامتها كلية النجاح الوطنية بنابلس بمناسبة مرور اربعين يوما على مصاب الادب العربي المعاصر ب « ابي جعفر » :

طويت صحائف هذي الحياة ... ونجمك في مستهل السرى
وشطت ديارك بعد التداني ... فوا وحشتا يا أليف الصبا
تنكر بعدك ضوء النهار ... وحالت وجوه ليالي الصفا
وحز الاسى في نفوس الندامى ... وحق لها ان تعاني الاسى
عجلت علينا وأنت الصبور ... فهل ضقت ذرعا بحمل الاذى
وكنت تغص بحلو الشراب ... فكيف استسغت مذاق الردى
سعيت الى ورده مسرعا ... كأنك تسعى لنيل العلى
وحولك برد الشباب القشيب ... ترف به حاليات المنى
فواحسرتا للشباب القشيب ... يوسد بعد الحشا في الثرى
ويا لك طيفا حبيبا توارى ... وحلما تلاشى ونجما هوى

« أبا جعفر » والدنى عابرات ... مضيت ولم يغن عنك البكا
ولو كان يغني عتاب المنايا ... عتبنا ولم نقتصد بالفدا
ولكن يعز علينا الفراق ... ولو كان رهنا بحكم القضا
فقد كنت فينا غياث النفوس ... وراح الجليس وأنس الحمى
ستبكي عليك عذارى القوافي ... ويشتاق شدوك أهل الهوى
وتبكي الحمام مع النائحات ... فتشجي النفوس لرجع الصدى
وترخص فيك الدموع الغوالي ... وتشتاق مثلي معين الوفا
وخلقا يحاكي هبوب النسيم ... وقلبا يشع كقطر الندى

سلام عليك نعمت مقاما ... وحيا ترابك صوب الحيا
تخيرك الله من بيننا ... فهيء رحابك للملتقى

بعد هذا العرض ... لعل ابرز سجايا « جلال » انسه الاصيل وخفة روحه اللذان جمعا له عددا من الاصدقاء المحبين في فلسطين والوطن العربي الكبير !

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

عـام جديـد

اسمى طوبى

الرابية ـ لبنـان

مـر عـام
نشر الطير جناحيه وطـار
اتـراه كان عـامـا
أم تراه كان جزءاً من نهـار
لم يكـد يبزغ حتى
في ركاب الغامض المجهول سـار .. ؟

ووقفنا نحتسي الدنيـا سرورا
بمـروره
ويهني بعضنا بعضا بماذا
بعبـوره .. ؟
بانسلاخ العمـر شـلوا
اثـر شـلو
كلمـا اسرع عـام
بمسـيره .. ؟

امس كنـا ..
ايه يا عهـد الطفولـه
كم رتعنا في مغانيـك الظليله
كم تساءلنا .. متى نكبر
كي نمسي شبابـا
وصبـايـا
وحثثنا الخطـو تشواقـا الى
تلـك الخميلـه

واتـى عهد الشـباب
فكأن الكون ملك ليدينـا
وارتقت آمالنـا عبر السـحاب
فالدنى خاضعة تجري الينـا

وانقضى العهد السعيد
فوقفنا مـن جديـد
نرقب الامس البعيـد
كم سقانـا في كؤوس الانس
ممزوج الشراب
الهوى والحب والادمـع
ما أعذبهـا دنيا الشباب

ويمر العام تلو العام يا قلبي
الى أيـن المسـير
الحجاب المسدل الغامض يخفي
عالم الغيب الخطير
اترانـا نحتفي بالامس
ظـلا من وفي
نحتفي بالغد .. نرشـوه
كجبار عتي .. ؟

رميت رأسي على المسند ، وحطمت عيناي زجاج النافذة .. وسرقت كل الاعمدة المزروعة على جانبي الطريق .. هذا العمود المائل .. سيسقط! اذا كل شيء يمـوت . قلت في نفسي :

ـ لماذا اتينا اذا ! ؟

ـ لا تكفر ..

ـ انا أؤمن بالله ..

ـ ويجب ان تؤمن بالموت .

.. قعد على السرير .. طوق جبينه بكفه وراح يقرأ ، ويقرأ . وسمعت اسم الله ينساب من بين شفتيه . كتب في وصيته يجب الا تحزنوا ، ان الله لا يحب الحزن .. واوصانا ان نقرأ له صباح كل يوم سورة الاخلاص . وتساءلنا : ما هي سورة الاخلاص ؟! قال لي :

ـ سيشفيك الله ..

وصباحا زارني قريب لي في المستشفى . نظراته جامدة .. عيناه حزينتان .. ذقنه غير محلوقة وهو المتأنق دوما . ابتسم ابتسامة قصيرة .

ـ ما رأيك انترك المستشفى .. حادثت الطبيب ، وسمح لك ..

فرحت على الرغم من آلامي .. وفي البيت عرفت كل شيء . انتهى صاحب الصورة التي تشمخ على جدار الغرفة . مات .. ماتت الابتسامة . لم استطع الوقوف على قدمي عندما حشرج في اذني بكاء امي المكبوت .. راح الرجل !

قرات سورة الاخلاص .. عددتها مرات بعقد اصابع يدي ، ولا ادري كم قرات . قصيرة هذه السورة ! وبطرف عيني اختطفت نظرة الى وجه الشاب الصغير الذي يشاركني مقعد السيارة .. فقد خشيت ان يلحظ تحرك شفتي .

لماذا ذهب ! كل الزهور التي وضعناها على قبره سرقوها ، ولم تبق الا الاعواد . والشيخ الذي منحته خمس ليرات وتعهد ان يقرأ القرآن اسبوعا لم ار وجهه بعدها .. بل لم اعد اذكره .

المطر كثيف خارج السيارة ...

تململ الشاب .. ونظر الي :

ـ السفر مزعج .

ـ الى اين تروح .. ؟!

ـ الى حمص ..

ـ سفرك قصير

ـ وانت ؟

ـ بعيد .. بعيد .

انقطع الحديث .. ولم يبق لدي ما اقوله ، فقرات سورة الاخلاص . في اخر رسالة ارسلها الي والدي اقترح ان اتزوج .. في كل رسائله كان يدعو ان اوفق بفتاة حسناء تحبني . وكنت اتجاهل دعواته ، وفي ذات الوقت اسر لاقتراحه ودعواته !



بقلم جهاد الكاتب

ولكن كيف حصل ذلك .. مستحيل ! .. لقد استقبلني اذ وصلت البيت على الدرج . قبلني وهو يحضن وجهي بكفيه فاحسست انه يكاد يبكي .. بل هو بكى . كان يحبني ، وكنت اتوق سماع احاديثه . ويوم خرجت من البيت لم اجد يديه اقبلها .. لم اره يقف على الشرفة يلوح لي بيده التي تحمل السبحة السمراء .. لم يرقبني وانا امتطي السيارة ويمنحني ابتسامة الاطمئنان . ولم اسمعه يكبر الله وانا اهبط الدرج



.. او يقول :

ـ لا تنس الرسائل .. لا تهتم لشيء .. الله يحمينا .

قال السائق ذو الاسنان الصفر والشاربين المفتولين :

ـ سنتوقف في حمص ربع ساعة ..

وعرفت انها ستصبح ساعة واكثر . خرجت اتجول حول السيارة .. في كل رمضان حين نجلس على مائدة الافطار كان والدي يقول :

ـ اذا لم اجلس معكم في رمضان القادم .. فترحموا علي ..

ونستنكر كلنا هذا الحديث ، ويبتسم .. اسمع عينيه تحكي قصة النبي نوح !

راحت السيارة تقفز .. ولم آبه للراكب الجديد الذي ضايقني . وعلى الرغم من ان الزمن امتص قيمته لدي ، الا انني ظللت انظر الى ساعة معصمي . اغمضت عيني ، ولا ادري لم احببت هذه العادة ، فانا استطيع ان ارى كل ما اريد وافعله ، وكأنه شيء حقيقي .. تدافعت الى راسي خواطر الطفولة .. ضربني والدي يوم هربت من المدرسة ، رفع قدمي بحبل وانهال عليهما بخيزرانة طويلة . ابتسمت .. فقد ضبطني مرة اتلصص على الجيران من خلال فتحة صغيرة في الحاجز الخشبي العتيق ، ولا ادري لم فعلت ذلك ، وماذا فعل بي بعدها ؟ العدسة المكبرة التي كان يقرأ بها الكتب وبعض قصصي ، اضعها الان في جيبي ، وكانت لا تفارق جيب سترته العلوي .

تنبهت الى انني لم اقرا سورة الاخلاص منذ ساعة . اوصانا ان نقراها قبل النوم وعندما نستيقظ او نشعر بضيق يثقل صدورنا .

الرخام البني اللون جلب من ايطاليا ، وحول القبر سور حديدي من خزف .. وعلى جدرانه الشاهقة التي ابدعها مهندس فرنسي اشعار

وآيات .. واسـم المتوفي مقرون بالفاظ فخمة .. وعلى جوانبه اشجار لا تطاول الجدران .. وبجانب السور الحديدي صندوق صغير من الحجر ، قصير لا يكاد يرى ، حفرت عليه سورة الاخلاص !

في المقعد الامامي جانب السائق زوجان .. والدي قال لي :

ـ اريد ان ارى اولادك ..

هل سيصبح لي اطفال يكبرون ، ويبكون ، وهم يسيرون خلف نعش ابيهم ؟!

دارت في راسي المهصور تساؤلات ... وهاجت الذكريات في خاطري .. واختلط الشوق بالحزن ، وامتلأ صدري الما . هتفت لي عينـان بعيدتـان :

ـ الا زلت تحبني .. ؟

ـ احب هذا السؤال ..

ـ الا تحب الاطفال ؟

انني اراها عبر زجاج النافـذة ، وحيدة في غربتها .. بائسة يحتضنها سرير هرم ، تقرأ رسالتي الاخيرة .. تكتب لي رسالة تعزية . دموعها البيض تسرح حتى رقبتها . قرية نائية داسها الطين .. تبكـي ولا تعرف كيف تبكي ، اناسها يحبـون الظلام ، يحبون نبـاح الكـلاب .. ويحبون النوم ، يعبدون الكسـل ، والبائسة يحتضنهـا سرير هـرم . والدي قال لي :

ـ اريد ان ارى اولادك .

ابطأت السيارة .. صاح السائق :

ـ ضباب .. ضباب . في كـل يوم ضباب .

وهمس بشتيمة لم افهمها . حرك مذياعه وفاجأنا باغنية سـخيفة ، وترك الصوت يخدش آذاننا :

« ان كان حبيبي لابس قمبازو
بيكون حبيبي لابس قمبازو »

صحت بنزق :

ـ صوت محرك السيارة افضل !

نظر الي من مرآته ولم يجـب ، فتبعثرت على شـفتي كلمـات . سببت كل السائقين ، ولعنت الغربة والسفر ، ضاق صدري .. ملأت كتلة اللحم المسافرة التي تطحـن كتفي . قرفت دخان السجائر الذي يرتع بين رؤوسنا . ولم تهدأ نفسي الا حين رددت سورة الاخلاص .. وظللت ارددها دون وعـي حتـى بدأت السيارة تختـرق شـوارع دمشـق ..

حملت حقيبتي .. واجتزت باب اول فندق

ـ لديكم غرفة !

ابتسمت لي عظام مكسوة بـورق اصفر .. وقادني شـاب قصـير مصقول شعره الى غرفـة معتمـة احسست مذ احتوتني انها غرفـة عشاق . قال الشاب بلهجة دنيئة :

ـ تريد شيئا يا سيدي ؟!

ـ اريد ان استريح ..

ضحك بخبث ساذج .. واشـار الى ضوء عاكس موضوع على الطاولة الصغيرة قرب السرير :

ـ هذا ضوء احمر صغير ..

اولعه ، واطفاه .. ثم اختفـى بحركة سريعة . سمعت امام بـاب غرفتي ضحكات امراة . فتحـت حقيبتي بعد ان نظرت الى وجهي في المرآة .. انني اشعر بحنين حار الى بيتنا كلما فتحت الحقيبـة ، اخرجت ثوب النوم ومذياع الجيـب .. طرق الباب ، وقبل ان افرق بين شفتي امتد راس امراة :

ـ اليست غرفة الاستاذ ؟؟

قلت بخشونة :

ـ لقد رحل ..

وادهشت حين دخلت واغلقت خلفها الباب .. امراة على عتبة الاربعين .. وجه مصبوغ .. وشعر منفوش مصبوغ ايضا .. صـدر مزيـف ، وتلبس بعض الثـوب . ارتمت على حافة السرير . نظراتها تأكلني .. نظرات بقرة عطشى .. قطة هزيلة لا تجد ما تاكله . وادركت انني وقعت في المصيدة . لعنـت حظي الذي يعذبني . قالت بعد أن حسرت ثوبها بحركة تمثيلية :

ـ هل تحب السكوت ؟

صدمت وجهها نظراتي الحادة :

ـ اريد ان انام ..

وضعت فخذا على فخذ ، وحركت ساقها وهي تتأملني .. تأكلنـي . وظلت تهز قدمها وتبتلع دخانهـا . قلت بصوت اقوى :

ـ اريد ان انام ..

ـ اتمنى ان ترى احلاما حلوة .. ان استطعت النوم !

وخطر لي : تطفيء مصباح الزيت الان لتنام .. تغمض عينيها ، وتحلم اننا سـنلتقي يوما ، وان غربتهـا ستنتهي .. عذابهـا سينتهـي ، وسيكون لقاؤنا رائعا . والدي يقول:

ـ اريد ان ارى اولادك ..

وذهب دون ان يرى واحدا منهم فقط .. دون ان تعرفه او يعرفهـا ذهب . لم احدثه عنها ، ولكننـي حدثتها عنه ، فعرفته دون ان تراه ، واحبته ...

ـ لا تحلم وانت واقف ..

هزات بي .. وفضلت الا اثور . نهضت ، واستقامت امام المرآة تعبث بشعرها ، وتردد اغنية فاضحـة . ظللت واقفا امسك ثوب النـوم ، والدهشة تعذبني ، وتشد لسانـي الى الصمت . قلـت لها بصـوت مكبوت :

ـ اريد ان انام .. الا تفهمي !

راحت ضحكتها تطرق راسي .. قالت :

ـ هل تخجل مني ؟!

لم اجب عنهـا . استدارت ، وخطت خطوتين نحوي . تفرسـت وجهي ، ودارت حولي وكأنها تتأمل تمثالا اسطوريا .. مثلها يجـب ان يموت ، ان يأكلها الدود .. مثلهـا ينام في العتمة تذبحـه رطوبـة الجدران القصيرة .. مثلها يجب ان يختفي ، قالت :

ـ الا تعرف الكلام !

اندفعت قائلا :

ـ كم تريدين لتخرجي فورا ؟ ..

ـ اريد فقط ان اتعرف على نصف

رجل ..

بقايا امرأة .. بقايا شيطان يداهمني ، ولم اصدق انني اعيش حقيقة امامي . فركت عيني ، وظلت تدور حولي كذبابة كل ما فيها نتن . طرق الباب ، وامتد راس الشاب القصير . ابتسم :

– تريد شيئا يا سيدي ؟

قالت له تسأله :

– كيف حال « بوجي » ؟

– اشربته الحليب .

– ابق نظرك عليه ..

اختفى راسه بعد ان اغلق الباب .. التجأت الى الله ، وسألته ان يمنحني القوة . اقتعدت حافة السرير ، والضيق يجتاز صدري الى عنقي فقرات سورة الاخلاص . قالت :

– ماذا تقول .. وتتمتم ؟

– اقول ما احب ..

– ايها المجنون ! ..

لسعت الكلمة اذني ، فصحت :

– يا عاهرة ..

لم تثر ثورتي . عادت الى المرآة بهدوء ، وهزت كتفيها . قالت :

– كل الشوارب العريضة تقبل قدمي .. وانا احترم كلبي اكثر منهم .

ورمقتني كأنها تنظر الى طفل .

كيف وقعت في الفخ ؟! والتجأت الى الله .. وحلمت . نامت الان ، تحرسها الاحلام . عندما تنتهي غربتي نلتقي .. سيكون لقاؤنا رائعا .. سأظل دقائق انظر الى عينيها قبل ان المس شعرها باصابعي . مررت كفها أمام عيني ، وقالت :

– يا ساهي ..

واضافت بعد حركة من يدها لم افهم معنى لها :

– وعاشق ايضا !

ولانه ليس لي الا ان ادهش ، فقد دهشت لفراستها . قالت بتحد :

– انا استطيع ان احرك الميت في قبره .

اذا فانا اكثر من ميت . خلعت حذائي وجوربي ، وقررت ان أنام ببنطالي وقميصي ، فاندسست في الفراش ، وقبل ان اغطي راسي ، قالت ، وقد غير وجهها العجب ، وبلهجة انكسار :

– كنت اظنك رجلا ..

وعلى الرغم من انني شعرت انها تنال من رجولتي ، فقد صممت أن انام ، واتظاهر به ، فأنا موقن انه لن يغمض لي جفن .. سأعيد الف مرة صورة والدي وهو يحوط بكفه راسي ويقرا ، وسأسمع الف مرة كلماته الاخيرة لي .. واقرا سورة الاخلاص . سأحلم ان تنتهي غربتي، وغربة معلمة القرية النائية ، قرية الطين . سأذكر اخوتي .. وامي التي صارت ثيابها سودا .. انني اخشى في كل لحظة ان افقد احدا ممن احبهم !

قالت بعد ان اطفأت النور الابيض واولعت الاحمر :

– هل وضعت محفظتك تحت المخدة ؟

انتفضت في السرير ، وصحت :

– ابي مات .. مات .. الا تفهمين ؟!

وانتظرت خروجها ، ولكنها اقتربت من السرير ، وهزت كتفي بيديها :

– اذا كان الموت سيحزنك فانت مجنون .

– مجنون الذي لا يحزن ..

– يا ابله .. أننا نعيش الان ..

لم تعد الفاظ السخرية التي تمطرني بها تثيرني .. همست :

– لو فقد الانسان قطة لحزن عليها ..

قالت دون انتعي ما قلت ، وكأنها تقص علي فكاهة :

– احببت يوما سائقا .. رجل ، وليس مثلك . جننت به . وسافر يوما .. ولم يعد . وعلمت بعدها انه مات .. في تلك الليلة سهرت امتع ليلة في عمري ، هل تفهم ؟ ..

واحسست انهاتكذب .. وانتابني تيار من الصراخ :

– دعيني .. يا كاذبة .

وايقنت انني أرزح تحت كابوس ثقيل ، فصرخت ، وشتمتها ، ولم ترد علي ، امتد راس الشاب القصير :

– تريد شيئا ياسيدي ؟ .

صرخت في وجهه :

– يا خنزير .. كيف ادخلتها الى هنا ؟

وقبل ان تختفي بسمة العاهرة الخائفة قالت له :

– الم اوصيك بالكلب ؟!

استدارت نحوي ورشقتني زبدا من لسانها :

– اذا كنا سنموت .. فلن البس كفني من ألان !

لن اقول لها انني لا اخاف الموت، ولكنني لا استطيع أن انسى في يوم واحد ذكريات هي الحياة نفسها . هي وجودي . أفرغت محفظتها من صور عديدة مختلفة الاحجام ، ورمتها على الطاولة :

– كل هؤلاء الرجال كانوا يحبونني .. ماتوا . اتريدني ان اموت معهم ؟

قطة هرمة فقدت اسنانها . ولا تجد ما تأكله . تابعت وكأنها في حالة هذيان :

– سأجعلهم مئة .. مئتين .. ولا أريد ان أموت معهم .

وحين وجدتني جامدا اقرا في وجهها ضعفها ، تباطأت في هذيانها .. وحاولت أن تبتسم . ثم اولعت النور الابيض متظاهرة بالهدوء . ولم تجد ما تقوله لتخفي حالتها .

تحاشت ان تلتقي عيناها بعيني حين عاد الشاب القصير بطيء الخطوة . أقترب منها ، وهمس في أذنها كلمات مرتجفة ، فانقلب وجهها الى لوحة من الذعر :

– متى ؟! ..

– الان ..

فاجأته بصفعة .. وارتمت على المقعد ذاهلة .. وهمست بصوت مبحوح :

في مهرجان بولس سلامة

قيل الفكر ، في العصور القصيه ، والليالي مروعات دجيه
والقوافي على الشفاه الحيارى تعجز الفن في امتداح الحميه
من لمجد يموج في القلب شعرا فيغني فرائدا ملحميه ؟!
واذا الفكر ، في اقتدار التحدي ، يوقظ الفجر في العيون الشقيه
واذا الهمس صرخة لا تجارى ، واذا الرفق غضبة مضريه
انها الضاد ، غرسي البكر ، تندى بالاماني ، وبالمغاني النديه
تضفر السحر ضمة من شعور عابق الفوح ، ملهم القدسيه
فاخفض الهام ان تناهى قريض ملحمي ، تضج فيه البريه
ذاك شعر تالق البوح يهفو في يديه لنفحة « بولسية »
يا رضيا ، على هواه ربينا فنشانا على الخلاق الرضيه
أنت نور على جبين المعالي ، وحداء على فم العبقريه
يوم باع الفواة قلبا وروحا ، صنت قلبا ، وصنت روحا أبيه
انه الفكر ، لا يباع ويشرى بنضار يذل فيه سموه
بوحك البوح ، يا نجي القوافي ، وصفي اللحون في الاغنيه
أي يم نصبت فيه شراعا ، لم تهدهده موجة لؤلؤيه
أنت أغنيت ، يوم غنيت شعبا باسل العزم ، رائع الحريه
غرس يمناك كل فخر جسور ، ونضال مسلسل الوطنيه
عفو لبنان ، ان تناءى بنوه عن دروب من السماح ، سويه
ان يشاؤوه للجهالات درعا نحن شئناه موطن الابجديه
أو يشاؤوه مرتعا للاعادي نحن شئناه موئلا للاخوه
يعربي على الزمان : هواه يعربي ، وروحه يعربيه
في حماه يرف همس النجاوي كصلاة طهورة مشرقيه
ملجا الفكر ، ما الظلام تمادى ينقذ الحرف من يد البربريه !!
شاعر المجد ، يا وديع الاماني ليس الاك للعلى أمنيه
كل جرح ، وان تنزى دماء يرقص الوحي في فم الشاعريه
فاعذرني اذا تهاوى مديح ، دون آفاق شعرك الفلسفيه
يخجل الشعر ان يسمى مديحا ، أو ثناء تند عنه الحميه
ان شعرا أقوله فيك زهوا ، لهو كالحب ، من خشوع البنوه

فوزي عطوي

ــ دفعت ثمنه غاليا ..

انسحب الشاب القصير كقائد عسكري منكسر . وقبل ان يغلق الباب سألها :

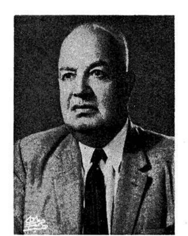
ــ ما نفعل به ؟

انتظر جوابها فلم تتحرك .. ولحظت من مكاني شيئا يتلامع على خديها المتآكلين .. وفي تلك اللحظة شعرت بنشوة الانتقام .

قبل ان تخرج .. راقبت وجهها امام المرآة ومسحت عينيها ، وصبغت شفتيها . نظرت الي طويلا ، نظرة استخفاف ، وسخرية ، وحيرة ، واعتذار ، واحترام ، وتحد .. ثم اختفت دون ان تلملم الصور المتناثرة على الطاولة .

في تلك الليلة لم انم ، ظللت استعيد ذكريات والدي فتدمع عيناي .. وقبل ان تشرق شمس اليوم التالي كنت اهبط درج الفندق حاملا حقيبتي ، اردد سورة الاخلاص .

حلب جهاد الكاتب



محمد العدنـــاني

اغـلاط شـائعـة

بقلم محمد العدناني

* * *

شرعت في التحقيق في المعاجم منذ نحو خمسين عاما ، لتصحيح ما كنت اقترفه من أغلاط لغوية في شعري ، وفي الموضوعات الانشائيـة التـي كان أساتذتنا يطلبونها منـا .

ومن حسن حظي أنني احتفظت بكثير من تلك الكلمات في دفاتـر صغيرة ، ما زال معظمها عندي الى الان .

ولم أكتف بتحقيقي السابق ، وما وصلت اليه من رأي ، بل عدت ــ قبل نشر هذه الاغلاط ــ الى تحقيق كل كلمة في جميـــع المصـادر اللغوية التي لدي ، اهمها :

(١) تاج العروس للزبيدي ــ المطبوع في مصر سنة ١٣٠٧ هـ.

(٢) لسان العرب لابن منظور ــ المطبوع في مصر بمطبعـة بـولاق سنة ١٣٠٠ هـ.

(٣) القاموس المحيـط للفيروز آبـادي ــ المطبوع في مصر بمطبعة بولاق سنة ١٢٨٩ هـ.

(٤) أساس البلاغة للزمخشري ــ المطبوع في مصر سنة ١٨٨٢ م.

(٥) الصحاح للجوهري ــ المطبوع في مصر سنة ١٢٩٢ هـ.

(٦) فقه اللغة للثعالبي ــالمطبوع في مصر سنة ١٣٤٦ هـ.

(٧) أدب الكاتب لابن قتيبة ــ المطبوع في مصر سنة ١٣٤٦ هـ.

هذا عدا عددا كبيرا من الكتب والمجلات التي ذكرت بعض الاغلاط بحق أو بغير حق ، لان كل زمان لا يخلو من بعض المسرفـين اما فـي التسامح اللغوي ، أو في التنطع اللغوي .

وأنا لا ادعي الكمال في ما ذكرت من أغلاط مصححة ، فالكمال من صفاته تعالى وحده ، وأرجو كل اديب يعثر على خطأ اقترفتـــه ، ان يلفت نظري اليه ، لاخبره عن المصادر التي لجـأت اليها في ابـداء رأيي ، وعن الاسباب التي جعلتني أتقيد بذلك الراي ، تلك الاســباب التي ذكرت بعضها في كثير من التصويبات . فاذا اقتنعت بصواب رأي المنتقد الفاضل شكرت له فضله ، وصححت الخطأ فورا ، لان هدفنـا جميعا هو خدمة لغتنا المحبوبة وأبنائها الكرام .

أما الاغلاط التي ساوردها ، فقد تلقفت كثيرا منها مـــن أفـواه الخطباء ومذيعي الراديو والتلفزيـــون ، ومن الصحـف والمجلات . والمذيعون في هذه الايام هم في طليعة الموجهين للشعب ، والمؤثرين فيه أدبيا ، ولغويـا ، وقوميا ، واجتماعيا .

وهنالك أغلاط كثيرة أخرى لن أذكرها ، لانها لا يقترفها الا القليل من الكتاب البلغاء ، ولانها ليست ذات أهمية لغوية كبيرة .

انني لا أرى المجد اللغوي أقل قيمة من المجد السياسي للامـة الصاحية حديثا من سباتها العميق كأمتنا العربية ، لذا أنصح جميـع قادتنا بأن يوجهوا اهتماما كبيرا الى تقوية الفصحى ، والاقلال مـــن اللغة العامية في الاذاعة والتلفزيون والمسارح ودور الخيالة (السينما) ، وضبط معظم الكتب والمجلات بالشكل التام ، حتى تصبح صحة اللغـة ملكة لدى القـراء .

همزة الاستفهام واستعمالها

يقولون : لم يدر أجاء خالد أم فريد . والصواب : لم يدر أخالد جاء أم فريد . لأن همزة الاستفهام هنا هي لطلب التصور ، وهو ادراك التعيين . والتعيين هنا بين خالد وفريد ، وليس بين المجيء وفريد .

ومثله قولهم : سواء أكان الخطيب مهندسا أم طبيبا . والصواب : سواء أمهندسا كان الخطيب أم طبيبا . فالهمزة هنا للتسويـــة بـين المهندس والطبيب ، واحدهما يجـب ان يأتي بعد الهمـزة مباشـرة .

مـن الآن

ويقولون : من الان والى الان ، وحتى الان . بجر الان بالكسرة . والصواب : من الان والى الان وحتى الان (بالفتحة) .

وقد قال الخليل بن أحمد الفراهيدي أستاذ سيبويـه : « الان مبني على الفتح . تقول : من الان نحن نصير اليك ، فتفتح الان ، لان الالف واللام انما يدخلانلعهد . والان لم نعهده قبل هـذا الوقـــت ، فدخلت الالف واللام للاشارة الى الوقت ، والمعنى : نحن من هـــذا الوقت نعمـل .

وقال العالم النحوي ابراهيم بن السري الزجاج المتوفي سنة ٣١١ هجرية : « الان منصوبة النون في جميع الحالات ، وان كان قبلها حرف خافض (جار) ، كقولك : من الان » .

الآنيـــة

ويقولون : وضعت الوردة في الآنية . والصواب : وضعت الوردة في الانـــاء . لان آنية هي جمع اناء . أما كلمة « الاواني » فهي جمـع الجمـع .

آونـة بعد أخرى

ويقولون : يفعل ذلك آونة بعد أخرى . والصواب : أوانا بعـد آخر . لان آونة هي جمع أوان . والاوان : هو الوقت والحين .

لا يؤبـه بـه

ويقولون : فلان لا يؤبه به . والصواب : لا يؤبه له ، أي لا يلتفت اليـه .

أثـر عليـه

ويقولون : أثر فلان عليه كثيرا . والصواب : أثر فيه . أي جعل فيه أثرا وعلامـة .

مـؤجـر

ويقولون : أجره الدار فهو مؤجر . والصواب : أجره الدار فهو

مؤجر ، لان الفعل هو أجر وليس أجـر .
وهنالك الفعل آجر بمعنى أجر ، ولكن اسم الفاعل منه هو مؤجر أيضـا ، وليس مؤجرا حسب القاعدة .

ماخوذ بجمال الطبيعة

ويقولون : كان فلان ماخوذا بجمال الطبيعة . والصواب : كان فلان أخيذ جمال الطبيعة .
أو : كان مفتونا بجمال الطبيعة .
ونقول : فلان ماخوذ بذنبه أي : معاقب عليه .

مـادبـة

ويقولون : اقاموا للفدائي البطل مادبة كـبرى . والصواب : اقاموا له مأدبة كبرى .

اذا بـه أمـامـه

ويقولون : فاذا به أمام الاسد وجها لوجه . والصواب : فاذا هو أمام الاسد وجها لوجه .

أذن الفنجـان

ويقولون : أذن الفنجان . والصواب عروته أو عصامه . وكلمـة فنجان معربة . ولا نستطيع ان نضع كلمة كوب بدلا منها لان الكوب ليس له عروة . وعندما نطلق على المولود اسم عصام الدين ، فاننا نعنـي عـروة الديـن .

أذن لـه بالسـفر

ويقولون : أذن له بالسفر . والصواب : أذن له في السفر . أي أباحه له ، لان معنى أذن بالشيء هو : علم به .

اربـا اربـا

ويقولون : قطعه اربا اربا . أي : عضوا عضوا . والصـواب : قطعه اربا اربا . أما كلمة الارب فمعناها : الحاجة .
ويقولون : قطعت الحبل اربا اربا . والصواب : قطعت الحبـل قطعا قطعا . ولا يقال ارب الا للعضو في الانسـان أو الحيـوان ، لان كلمة ارب معناها : عضو .

هي أرمـل

ويقولون : خيل اليه أنها أرمل . والصواب : أنها أرملة .

وقـع في مـازق

ويقولون : وقـع فلان في مازق . ومعنى مـازق : المضيق ، أو موضع الحرب ، ويستعار للدلالة على الموقف الحرج . والصـواب : مازق (بكسر الزين) .

آسـف

ويقولون : فلان آسف على ما جرى لاخيك . والصواب : أسـف على ما جرى .

يؤسـف لـه

ويقولون : هذا مما يؤسف له . والصواب : مما يؤسف عليـه . ولم تسمع عن العرب تعديته الا ب (على) . قال الشاعر :
غيـر ماسـوف على زمـن ينقضي بالغـم والحـزن

اطـارات

ويجمعون كلمة (اطار) على اطارات . والصواب : أطر . يقـول التاج : ان الاطرة هي كل ما أحاط بشيء ، وجمعها : أطـر واطـار . ويقول كاللسان في مكان آخر : وكل شيء احاط بشيء فهو اطار لـه . وهذا يعني ان كلمة اطار عندهما مفردة وجمع في آن واحـد . أمـا (المنجد) فانه يجمع كلمة اطار على أطر ، ولا أدري من أين جاء بهـذا الجمع الذي لم أجـده في المعاجم الاخرى .

الاكثر شيوعـا

ويقولون : هذه العبارات هي الاكثر شيوعا بيننا . والصواب : هذه هي اكثر العبارات شيوعا بيننا . لان أفعل التفضيل المفرد المذكر لا يعرف ب أل .

تاكـد الشـيء

ويقولـون : تاكدت أن عدونا سيهـزم . والصـواب : أيقنـت أو تيقنت او استيقنت أو تبينت أو تحققت أن عدونا سيهزم . لان تاكـد فعل لازم لا تجوز تعديته .

الا وجـزع

ويقولون : ما نبحه كلب الا وجزع . والافضل أن نتجنب هـذه العبارة الركيكة ، ونقول : ما نبحه كلب الا جزع .

اليتـه

ويقولون : أصابت شظية اليته . والصواب : أليته ، وجمعها أليات والايا ومثناها أليان بدون تـاء على غير القياس . والألية هـي العجيزة ، أو ما ركب العجز وتدلى من لحم وشحم .

أمس

ويقولون : ما رأيته مذ أول أمس . وزارني فـلان أمس الاول . ويريدون في كليهما يوما قبل أمس . والصواب أن يقال فيهما : ما رأيته مذ اول من أمس ، وزارني فلان أول من أمس . وأمس يبنى على الكسر اذا كان المراد به آخر يوم مضى . ويعرب اذا اريد به أحـد الايام الماضية ، أو اذا جمع ، أو صغر ، أو دخلته أل ، أو أضيف .

أمسيـة شـعرية

ويقولون : أمسية شعرية . والصواب : أمسية شعرية بتشديد اليـاء في أمسية .

مـامـل

وقرأت لاحد الشعراء المشهورين قوله :
.. .. فهل لنـا في عـودة مـن مامـل
والصواب : من أمل ، لان المعاجم أبت أن تحمل في أجوافها كلمة مـامـل .

نامـل منه الكـرم

ويقولون : نامل منه الكرم أو نتامل منه الكـرم . والصـواب : أملنا فيه ان يكون كريمـا . لان معنى أمله : رجاه وتأمل الشيء وتأمل فيـه : نظر اليـه مستثبتـا لـه .

علم أن ستعود فلسطين

ويقولون : علم أن ستعود فلسطين الى العرب . والصواب : علم أن ستعود فلسطين .... لان أن هنا ليست الحرف الذي ينصب الفعـل المضارع ، بل هي الحرف المشبه بالفعل أن مخففا . فالحرف الناصب والمصدري (أن) يجب أن لا تفصل بينه وبين مضارعه السين أو سوف أو قد أو ما أو لو . فاذا فصلت هذه الحروف الخمسة بين أن والفعل المضارع ، كانت أن هي أن المخففة .

أنـانيـة

ويقولون : هذا رجل ذو أنانية . أي : رجل أناني . والصواب : هذا رجل ذو انانية .

وللانانية ثلاثة معان :
(١) تمدح الانسان بما ليس عنده اعجابا بنفسه وتكبرا .
(٢) حب النفس المفرط مع عدم التفكير في الاخرين .
(٣) الصلف والكبرياء .

أنف الشيء

ويقولون : انفت الشيء ، أي : استنكفت منه . والصواب : انفت من الشيء .

أوتوبوس

يطلقون كلمة أوتوبوس على السيارة الكبيرة ، التي تنقل الناس من مكان الى اخر . وانا أرى ان نسمي تلك السيارة الكبيرة ب السيارة الحافلة .

قام بأوده

ويقولون : قام بأوده ، أي كفاه معاشه . والصواب : عاله أو أعاله . اما اذا أردنا ان نقول : أزال اعوجاجه ، فاننا نقول : قوم أوده ، لان كلمة الاود معناها الاعوجاج .

لاول مرة ولاول وهلة

ويقولون : فلان يغني لاول مرة في حياته و رأيته لاول وهلة . والصواب : يغني اول مرة و رأيته أول وهلة ، أو واهلة ، أي : أول شيء .

أيضا

ويقولون : نحن في حاجة ايضا الى المال . والصواب : نحن في حاجة الى المال ايضا . وكلمة أيضا ،مصدر منصوب اما على المفعولية المطلقة ، واما على الحال .

بئر عميق

ويقولون : هذا البئر عميق . والصواب : هذه البئر عميقة .
وهنالك كلمات مؤنثة كثيرة يذكرها عدد كبير من الكتاب ، مثل : ارنب وضبع وكرش ويمين (القسم) .

بادر لمساعدته

ويقولون : بادر جاره لمساعدته ، أي : أسرع . والصواب : بادر الى مساعدته .

باشر بالعمل

ويقولون : باشر فلان بالعمل أو في العمل . والصواب : باشر فلان عمله .

باع طويلة

ويقولون : باعه طويلة . والصواب : باعه طويل ، لان كلمة باع مذكرة ، بينما كلمة ذراع مؤنثة .
الباع : قدر مد اليدين . جمعه : أبواع وبيعان وباعات . وربما عبر بالباع عن الشرف والفضل والكرم .

باقة من الزهر

ويقولون : باقة من الزهر . والصواب : طاقة من الزهر ، لان الباقة هي الحزمة من البقل .

ذو مبدأ نبيل

ويقولون : فلان ذو مبدأ نبيل . والصواب : فلان ذو عقيدة او منهج او خطة . وليس في اللغة العربية كلمة (مبدأ) الا في المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان من الفعل الثلاثي بدأ .

أبدل العلم بالجهل

ويقولون : لا تبدل العلم بالجهل ، ولا تستبدل الذهب بالفضة . والصواب : لا تبدل الجهل بالعلم ، ولا تستبدل الفضة بالذهب .

برز في العلم

ويقولون : برز فلان في العلم بروزا عظيما . والصواب : برز فلان في العلم تبريزا عظيما ، لان معنى برز في العلم هو فاق أصحابه فيه .

برش الصابون

ويقولون : برش الصابون والسفرجل . والصواب : بشرهما أو أبشرهما . اما الفعل برش يبرش برشا وابرش ، فيعني :
(١) كان على جلده نقط بيض فهو : أبرش ومبرش ، وهي برشاء ومبرشة .
(٢) مكان أبرش : كثير النبات ، مختلف الالوان .
(٣) سنة برشاء : كثيرة العشب .

برطيل

ويقولون عن الرشوة : برطيل ، والصواب : برطيل (بكسر الباء) . وقد أخطأ من ظنها غير فصيحة ، فنقول : برطلة فتبرطل ، أي : رشاه فارتشى . وجمع برطيل : براطيل .

براعم

البرعم أو البرعمة او البرعوم أو البرعومة : هي كمامة الزهر (غطاؤه) ، أو زهر النبات قبل أن يتفتح ، يجمعونها على براعم ، والصواب : براعيم .

البركار

ويقولون : استعمل المهندس البركار ، ويطلق عليه بعضهم اسم فرجار أو بيكار . وقد عرفت العرب الفرجار ، وأطلقت عليه اسم الدوارة كما ذكر التاج واللسان . أما كلمة فرجار أو بركار فهي فارسية .

البرميل

ويطلقون على الوعاء الخشبي الذي يوضع فيه الخل وخلافه اسم : برميل ، والصواب : برميل (بكسر الباء) .

أقام عنده برهة

ويقولون : أقام عنده برهة ، أي : مدة قصيرة . والصواب : اقام عنده هنيهة ، أو مدة يسيرة من الزمن ، لان معنى برهة : هو الزمان الطويل . وجاء في لسان العرب : أقمت عنده برهة من الدهر ، كقولك : اقمت عنده سنة من الدهر . ويورد تاج العروس ولسان العرب برهة (بفتح الباء) ، بالاضافة الى برهة (بضم الباء) .

أبسطة

ويجمعون البساط على أبسطة . والصواب : بسط .

بسيط وبسيطة

ويقولون : هذا رجل بسيط وهذه امراة بسيطة . والصواب : هذا رجل ساذج وهذه امراة ساذجة . لان كلمة البسيط تعني : الارض الواسعة ، والمنبسط بلسانه ، وخلاف المركب . ورجل بسيط الوجه : متهلل . وبسيط اليدين : كريم مسماح . أما البسيطة فهي ما انبسط من الارض واستوى منها .

أبصر به

ويقولون : أبصر به يتقهقر . والصواب : أبصره يتقهقر .

بطانية

ويسمون ما يتغطى به النائم بطانية أو حراما . وفي المعاجم تغنينا كلمة دثار عن استعمال تينك الكلمتين .

ويجيز بعض المولدين استعمال كلمة احرام . والاحرام مصدر أحرم الحاج ، لان المحرم لا يلبس ثوبا مخيطا ، فاطلقوا عليه لفظ الاحرام ، من باب التسمية بالمصدر . وقد استعمل ابن بطوطة كلمة « احرام » بدلا من « دثار » .

بطيخ

ويفتحون باء الفاكهة المعروفة ، ويقولون : بطيخ . والصواب : بطيخ بكسر الباء .

البعاد

ويقولون : أضنى أمه البعاد (بضم الباء) . والصواب : البعاد (بكسر الباء) . أما بعاد فمعناها بعيد . ومثلها باعد . أما جمع بعيد وباعد وبعاد فهو : بعداء وبعد وبعدان . أما المباعدة فهي مثل بعاد تعني البعد .

لم يجيء بعد

ويقولون : لم يجيء فلان بعد . والصواب : لما يجيء فلان بعد. لان منفي . لما مستمر النفي الى الحال .

والظرف المبهم (بعد) معناه : الى الان . ونحن عندما نقول : لما يجيء خالد بعد ، نكون متوقعين مجيئه . بينما الجملة : لم يجيء خالد ، تعني أنه لم يجيء في الماضي ، ولا نتوقع مجيئه الان . ولم حرف جزم يقلب المضارع ماضيا .

انضموا الى بعضهم البعض

ويقولون : انضموا الى بعضهم البعض وشكوا ببعضهم البعض . والصواب : انضم بعضهم الى بعض وشك بعضهم ببعض .

بعيد عنا

ويقولون : هو بعيد عنا . والصواب : بعيد منا . وابن منظور في لسان العرب ، والزبيدي في مستدرك التاج لم يوردوا الا حرف الجر (من) بعد كلمة (بعيد) .

لا ينبغي عليه

ويقولون : لا ينبغي عليه أن يفعل كذا . والصواب : لا ينبغي له أن يفعل كذا .

البقال

ويسمون بائع العدس والجبن وسائر المأكولات بقالا . وهو في الحقيقة بدال .

أما البقال فهو بائع البقول ، أي الخضر ، ويسمى الخضار . والبقل هو ما نبتَ في بزره ، لا في أرومة ثابتة ، واحدته بقلة . والجمع : بقول و أبقال . أما قولهم : باع الزرع وهو بقل ، فيعني أنه أخضر لم يدرك .

تبقى

ويقولون : تبقى عندي كتاب . والصواب : بقي عندي كتاب ، لان الفعل تبقى متعد ، وبقي لازم . ونقول : تبقاه الله أي : ابقاه .

البكالوريا

ويقولون : فاز الطالب بالبكالوريا . والصواب : فاز بالشهادة الثانوية لان كلمة بكالوريا يونانية . ويجب أن نقول : الشهادة الاعدادية بدلا من البروفيه ، والشهادة الابتدائية بدلا من السرتيفيكا .

عن بكرة أبيهم

ويقولون : جاءوا عن بكرة أبيهم . والصواب : جاءوا على بكرة أبيهم . أي : جاءوا جميعا ، ولم يتخلف منهم أحد .

هذه البلد

ويقولون : أقيم في هذه البلد . والصواب : أقيم في هذا البلد ، لان كلمة بلد مذكرة . وقد وردت كذلك في القرآن الكريم تسع مرات .

بلع اللقمة

ويقولون : بلع فلان اللقمة . أي : ازدردها . والصواب : بلع فلان اللقمة (بكسر لام بلع) .

زاد الطين بلة

ويقولون عندما تحل نكبة جديدة بانسان فوق النكبات السابقة : زادت هذه النكبة الطين بلة . والصواب : زاد الطين بلة . وفعلها : بله يبله بلة وبلا .

بناء على أمره

ويقولون : بناء على أمر الحاكم . وهو اصطلاح عامي : والصواب : امتثالا لامر الحاكم .

بنادق

ويجمعون بندقية على بنادق . والصواب : بندقيات .

بنسيون

ويقولون : يقيم فلان في البنسيون . وكلمة بنسيون فرنسية والصواب : يقيم في نزل .

بؤساء

ويجمعون (بائس) على (بؤساء) . والصواب : بؤس . قال تأبط شرا :

قد ضقت من حبها ما لا يضيقني حتى عددت من البؤس المساكين

وقد أوردها التاج واللسان غير مهموزة (البوس) . وقد أخطأ حافظ ابراهيم عندما ترجم كتاب فيكتور هوجو ، وأطلق عليه عنوان : (البؤساء) .

ويجوز أن نجمعها جمع مذكر سالما ، ونقول : بائسون .

البوم والغربان

ويقولون : هم أشأم من البوم والغربان . والصواب : هم أشأم من الابوام والغربان ، لان البوم هو الذكر المفرد ، ومؤنثه بومة ، والجمع : أبوام لا بوم .

الصفحات البيض

ويقولون : الصفحات البيضاء والمجلدات السوداء ، واصفين الجمع بالمفرد ، والصواب : الصفحات البيض والمجلدات السود .

مبيضة الكتاب

ويقولون : أنهى فلان مبيضة كتابه . والصواب : أنهى مبيضة كتابه .

بيطار

ويسمون معالج الدواب بيطارا . وهو في الحقيقة بيطار (بفتح الباء) . وهنالك أسر عديدة في العالم العربي تحمل اسم (بيطار) ، فعسى ان تنتبه للفظه .

سفينة الحلم

•

في ليلة الميلاد .. عـا ودني الحنين الى الرحيل
والثلج .. قد حجب الطريق وامتص اصداء العويل
والعابرون تساقطوا مزقا عى الدرب الطويل
وأنا تعابثني رؤى أسطورة تدعى الدليل

في ليلة الميلاد .. عـا ودني الحنين الى السفر
والعالم المرفوض قد آوى بأعماقي الضجر
فقد استوت اشياؤه وقد امحت عندي الصور
فعلام أشتاق الرحيـ ـل علام اهفو للسفر

في ليلة الميلاد .. كنـ ـت سفينة تلج الزحام
باليأس .. خيط شراعها والحلم ... يمنحها السلام

دمشق

سلافة العامري

بين اسرائيل وبين الانتصار

ويقولون : كانت معركة حزيران عام ١٩٦٧ اخر لقاء بين اسرائيل وبين الانتصار . والصواب : كانت اخر لقاء بين اسرائيل والانتصار .

بينا و بينما

ويقولون : سافر أخي بينما كنت نائما . والصواب : بينما كنت نائما سافر أخي . لان بينما و بينا حرفان من حروف الابتداء كما ذكر التاج ، وابن سيده .

متحف

ويقولون : ذهبت الى المتحف لارى الاثار القديمة . والصواب : ذهبت الى المتحف (بضم الميم) . اذ لا يوجد في اللغة العربية الفعل (تحف) الثلاثي ، بل يوجد الفعل (أتحف) الرباعي . ويصاغ اسم المكان من الرباعي بابدال حرف المضارعة ميما مضمومة ، وفتح ما قبل الاخر ، كاسم الزمان ، واسم المفعول ، والمصدر الميمي . أتحف ، يتحف ، متحف .

التخمة

ويقولون : اصابته التخمة من كثرة الاكل . والصواب : أصابته التخمة (بفتح الخاء) وقد جاء في « لسان العرب » ان العامة تقول : تخمة. وقد وردت الخاء ساكنة في شعر انشده ابن الاعرابي ، اذ قال :

تهضم التخمة هضما حين تجري في العروق

والتخمة هي الداء الذي يصيب الانسان من وخم الطعام ، او من امتلاء المعدة . ونجدها في المعاجم في (وخم) وليس في (تخم) .

تعاسة

ويقولون : عاش في تعاسة . والصواب : عاش في تعس . وهو تاعس وتعس وتعيس . ولم تعرف الضاد المصدر تعاسة .

تعالي عندنا

ويقولون : تعالي يا هالة عندنا . والصواب : تعالي الينا .

(تعال) فعل أمر من الفعل (تعالى) . وأصله أن الرجل العالي كان ينادي السافل ، فيقول : تعال . ثم كثر في كلامهم حتى استعمل بمعنى (هلم) مطلقا ، سواء كان موضع المدعو أعلى ، أو أسفل ، أو مساويا . وتتصل الضمائر بهذا الفعل ، فيبقى على فتحه ، فيقال :

(١) تعال يا رجل . (٢) وتعالي يا امرأة . (٣) وتعاليا يا امرأتان.
(٤) وتعالين يا نساء ، وتعالوا يا رجال .

وربما ضمت اللام مع جمع المذكر السالم ، وكسرت مع المؤنثة ، فنقول : تعالوا يا رجال ، وتعالي يا فتاة .

تفاحات

ويجمعون تفاحة على تفاحات . والصواب : تفاح . وجمع الجمع : تفافيح . وجاء في لسان العرب : تفاح كثير ، رغم ان المفرد تفاحة . وجاء في تاج العروس : تصغير تفاحة واحدة : تفيفحة .

صيدا ـ لبنان

محمد العدناني



١ ـ اربعة ايام مع شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي

تأليف عبد القدوس الانصاري ـ ١٣٨ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع في بيروت ـ لم تذكر المطبعة

اربعة وثلاثون عاما مضت على وفاة الشاعر العربي الكبير الشيخ عبد المحسن الكاظمي (١٨٦٥ م ـ ١٢٨٩ هـ (١) ـ أول مايو ١٩٣٥) احد الشعراء العرب الكبار ، الذين هزوا الجيل العربي المعاصر كله ، بأشعارهم القومية والوطنية الرائعة ، وبدعواتهم التحررية والفكرية ، والتي احدثت آثارها في العالم العربي كافة ، وكانت آراؤهم هي النبراس الذي أضاء الطريق لمواكب النهضة والتقدم .

وشعر الكاظمي فيه الطابع البدوي الذي مثل فيه غنائية الشريف الرضي تمثيلا كاملا ، وكان الشيخ نـدا للبارودي وشوقي وحافظ ومحرم ، وعلى نهجه كان يسير الشاعر البدوي المصري الشيخ محمد عبد المطلب ، وامتدادا له ولشعر مدرسة البارودي وشوقي وحافظ ، جاء شعر الجارم والاسمر والجندي وغنيم ومحمد عبد الغني حسن واضرابهم .

ولد الكاظمي في بغداد بحي الدهانة ، ونشأ في الكاظمية ونسب اليها ، وقد تتلمذ على أخيه الاكبر محمد حسين الكاظمي وعلى اعلام الادب والشعر ، وفي جملتهم ابراهيم الطباطبائي ومحمد جابر الكاظمي ، وفي حلقات الكاظمية والنجف استكمل الشاعر كل ثقافته ومقومات ادبه وشعره وفجأة هبط الكاظمية جمال الدين الافغاني هاربا من خصومه في ايران ، وأقام الافغاني بدار قرب دار الكاظمي ، وتعرف اليه الشاعر الشاب الكاظمي ، وتلقى عنه دروسا في الدين والوطنية ، وأصبح من أشهر تلاميذ الافغاني صلة به ، وأكثرهم قربا منه وتحمسا له ، وفجأة طرد الافغاني من العراق ، واصبح تلاميذه ومريدوه موضع المراقبة الشديدة ، ولقي الكاظمي الكثير من العنت وهو احدهم ، ففر الى ايران ثم الهند ، ثم عاد الى بغداد ، ثم هاجر منها الى مصر وحط بها رحاله عام ١٨٩٩ م .

ولصلة الامام محمد عبده الوثقى بالافغاني نزل الكاظمي في رحابه ، ونال الكثير من بره وكرمه ، وفي مجلسه تعرف بأدباء العصر وشعرائه وبأعلامه ، وفي مقدمتهم : سعد زغلول واحمد شوقي وحافظ ابراهيم واحمد محرم ومصطفى لطفي المنفلوطي ومصطفى صادق الرافعي وغيرهم وفي القاهرة تلاقى الكاظمي مع أقطاب العرب وصار من اعضاء جمعية الرابطة الشرقية .. وقد احتفى احمد شوقي بمقدمه ورحب به وكتب عنه في جريدة المؤيد ـ عدد ٣٠ من نوفمبر ١٩٠٢ ـ ينوه به وبشعره وبمنزلته بين الشعراء العرب . واختير الكاظمي حكما في كثير من مواسم الشعر وحلقاته ، ومن بينها المباراة الشعرية المشهورة التي اقيمت عام ١٩٠١ بمناسبة عيد جلوس الخديوي عباس الثاني ، ونال حافظ وتوفيق البكري فيها المدالية الذهبية .

وتوثقت صلة الكاظمي في القاهرة بآل لطف الله ، وبآل عبد الرزاق الذين كان منهم الشيخ مصطفى عبد الرزاق شيخ الازهر فيما بعد ، وقد تعرف الكاظمي في أول حياته في القاهرة بشيخ الشعراء محمود سامي البارودي وكان قد قدم من المنفى ، وكتب فيه قصائد شعرية بليغة .. كما تعرف فيما بعد بعبد الرحمن الشهبندر وبصاحب المؤيد علي يوسف وبأقطاب الحزب الوطني ومنهم عبد العزيز جاويش ، وبأعلام النهضة والفكر والادب ، وعلى اية حال فان الكاظمي انخرط في سلك مدرسة الافغاني في القاهرة ، وصار أحد أعلامها ، وعن طريقها ألف الحياة المصرية وألفته ، وكان من هذه المدرسة أيضا الشيخ عبد القادر المغربي ومحمد رشيد رضا وأعلام اخرون كثيرون (٢) .

وهذا الكتاب الجليل الذي ألفه الاديب العربي السعودي الكبير الاستاذ عبد القدوس الانصاري صاحب المؤلفات والبحوث والمقالات الرائعة وصاحب مجلة « المنهل » الزاهرة (التي تصدر في جدة) يعتبر من أجل ما كتب عن الكاظمي من دراسات في العصر الحديث .

ولا أنسى في هذا المقام الجهد الذي بذله الاديب العراقي النجفي الاستاذ عبد الرحيم محمد علي في انصاف الكاظمي وفي دراسة شعره وشاعريته فقد أخرج عنه عام ١٩٥٥ كتابه الاول ـ بعنوان « الكاظمي شاعر العرب » وفي عام ١٩٥٨ اصدر كتابه الثاني عنه بعنوان «ذكرى شاعر العرب » ، وفي عام ١٩٦١ أصدر كذلك حلقة ثالثة عنه بعنوان « الكاظمي شاعر الكفاح » ، ثم في عام ١٩٦٥ أصدر حلقة رابعة بعنوان : « الكاظمي في ذكراه الثلاثين » .

وللدكتور حسين علي محفوظ كتاب « عراقيات الكاظمي » ، وأصدر مهدي البير عنه كتابا بعنوان « الكاظمي » ونال الاديب العراقي محسن غياض درجة الماجستير من كلية الاداب بجامعة القاهرة عام ١٩٦٤ برسالة قدمها عن الشاعر الكاظمي . ويجيء كتاب الاستاذ الكبير عبد القدوس الانصاري في نهاية هذه السلسلة ليسد النقص الكبير الذي نلمسه في الدراسات الادبية عن الكاظمي وشعره .

وفي مطلع الكتاب نقرأ قصيدة الاديب الشاعر العربي الكبير محمد سعيد العامودي رئيس تحرير مجلة « الحج » التي تصدر من مكة المكرمة وفيها تنويه بجهد المؤلف وفضله ، وبالكاظمي وشاعريته ، وأروع خصائص هذه القصيدة غنائيتها العذبة الجميلة الساحرة ، وفيها يقول العامودي يهنىء صديقه الانصاري :

أحييت ذكرى الشاعر « الكاظمي » بروعة البحاثة العالم
أحييت ذكراه وانصفته انصاف حق ليس بالآثم
الشاعر المنسي أخنى عليه الغدر ، يا للغدر من جارم
قد عاش مظلوما وما كان هذا الشاعر المظلوم بالظالم
ولم يكن ذنب له غير أن نـدد بالمستعمر الحاكم
وكم دعا وكم تغنى بمـا للعرب من ماض لهم باسم
يا شاعر الزوراء ما كنت بالـ ـمحظوظ في دنياك والغانم
فحسبك الخلد نصيبا ، وما أحلى المنى للشاعر الحالم
ان يملأ الدنيا وان يشغل الـ ـناس بما أبدع من عالم
يا شعراء العصر هذا هو الشاعر عبد المحسن الكاظمي
من حقه ، والحق اداه أن نقرنه من غير ما لائم
بأصفياء الشعر في عهده الماضي ، وفي حاضره القائم
بابن ابي سلمى وبالحارث البكري ، والاعشى ، وبالدارمي
وبأمير الشعر في عصره وحافظ ابراهيم والجارم

والقصيدة تشير الى هذا الطابع القديم لشعر الكاظمي ، ولامتداداته الحديثة التي نجدها عند شوقي وحافظ والجارم ، وكثير من الشعراء .

والكتاب ثروة ادبية رائعة ، ودرة متألقة في الدراسات الادبية المعاصرة ، وفيه من مؤلفه اسلوبه المشرق الناصع ، وفكره الخصب الثري ، وبيانه الممتع الساحر السري ، وفيه منه روح « البحاثة العالم » التي أشار اليها العامودي في قصيدته ، الى ما فيه من أثر

جليل لفكر الانصاري الصحفي ، ولطاقاته الكبيرة المنوعة ، مما نلمسه في تعدد مواضيع الكتاب ودراساته . وشخصية الانصاري تبرز بوضوح في الكتاب ، هذه الشخصية الفريدة في أدبنا المعاصر ..

ومن أجل ما تعرض له الانصاري في كتابه تصحيحه للخطأ الشائع الذي وقع فيه أدباؤنا الكبار من التنديد بالخليفة العثماني السلطان عبد الحميد بعد عزله ، وقد أبان الانصاري ان هذه الحملة الظالمة على عبد الحميد كان الاستعمار والصهيونية من ورائها يذكون نارها ، ويشعلون جمرها ، وقد ذكر أن الكاظمي وقع فيما وقع فيه الشعراء الكبار في مصر والعالم العربي ، وان الشاعر احمد شوقي هو الذي لم يقع فيما وقع فيه غيره ، بل التزم الحياد حيال الاحداث التي ألمت بالخليفة وعرشه ، ويستشهد الانصاري برأي قيم لفارس الخوري خلاصته ان عبد الحميد راح ضحية ثأر اليهودية العالمية التي ساءها رفضه لاقتراح ثيودور هرتزل باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين (٣) .

ومن أجل البحوث في الكتاب كذلك بحثه : « شاعر العراق » وبحثه : « شاعرب العرب » ـ وهما لقبان لقب بهما الكاظمي ، والاول لقبه به رفائيل بطي ، وكان يلقب به كذلك جميل صدقي الزهاوي ، ويقول الانصاري : ان لقب « شاعر العرب » أطلق على أثنين من فحول الشعراء العرب : الكاظمي وفؤاد الخطيب .

وماذا اقول عن الانصاري وكتابه الجديد القيم الرائع ، والكتاب بنفسه شاهد صدق عليه ، ودليل فضل ناله مؤلفه بكلتا يديه .. ولقد سبق لي أن ذكرت الانصاري وادبه وكفاحه الفكري في كتابي : « الشعر والتجديد » ، وكتابي الاخر « من تاريخنا المعاصر » وهما ليس بين يدي الان لاستشهد بهما في صدق الراي في الانصاري الحجة الثبت ، والشيخ العربي المناضل ، ولاوضح الخط الفكري الموصول الممتد الذي يصل أدب الانصاري وفكره بعضه ببعض على مر الاعوام ، وتعاقب الايام .

وبعد فان لصاحب « المنهل » وشيخها ، الشيخ الجليل ، الاديب العربي الكبير ، عبد القدوس الانصاري ، على النهضة الادبية الحديثة ، أيادي لا تنسى ، ومؤلفاته الخصبة ، وصفحات مجلته الشهرية العتيدة ، تنطق كلها بما لهذا الرجل من فضل كبير على الادب المعاصر .

وتحقيقات الانصاري التاريخية واللغوية والادبية هي بلا ريب من أروع فصول ادبنا المعاصر ، وتتجلى روحه النافذة العميقة فيما كتبه من فصول في هذا الكتاب ، وفي كتابه الجديد الاخر : « بين التاريخ والاثار » الذي سوف أعود اليه واقف طويلا عليه ان شاء الله .

٢ ـ جبل طارق والعرب

تاليف عبد العزيز الرفاعي ـ ٣٢ صفحة ـ مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر بالسعودية ، سلسلة المكتبة الصغيرة .

الاديب السعودي العربي الكبير عبد العزيز الرفاعي من اعلام الادباء والشعراء العرب المعاصرين ، وكتاباته وشعره يدلان على ذوق أدبي رفيع ، وصياغة اسلوبه يصلك بمنابع البلاغة في الجزيرة العربية ، وكأنك تسمع للفصحاء الاوائل ، الذين يخطر كلامهم في حلل مدبجة من البيان المعطر ، والوشي المحبر ، والقول الساحر . وقد قرأت له « توثيق الارتباط بالتراث العربي » ثم قرأت له هذا الكتاب الاخر « جبل طارق والعرب » وهو بحث جديد شيق ممتع ، فيه خصوبة البحث وثراؤه ، وروعة التصوير ودقته ، الاسلوب الساحر الجميل ، البيان المشرق الاخاذ ، الصياغة البليغة الممتعة . كتب الرفاعي عن « جبل طارق » هذه الدراسة الموجزة الجامعة ، الطريفة غاية الطرافة ، والجديدة كل الجدة ، واعتمد فيها على مصادر أصيلة متنوعة ، جعلت للبحث أهميته وخطورته .

وما اكثر ما نسمع بجبل طارق ، ولكن ما أقل ما نعرف عنه ، ونحن العرب ما اشد جهلنا بعلاقة العرب بهذا الجبل ، مع عظم دورنا الحضاري فيه .

وهذا الكتاب صغير الحجم ، وان كان كبير الفائدة ، وكثير الاهمية من العالم . ويذكر آراء المستشرقين في آثار جبل عارق ، على هذا الموضع ، وعن استراتيجية موقعه وعن جغرافيته وتاريخه ، وعما أقيم فيه من مبان ، وما نشأ حوله من عمران في عهد الموحدين وغيرهم . ويستعرض قصة جبل طارق خلال العصور والاجيال ، وعلاقته بالعرب ، وعلاقة العرب به ، ودورهم الحضاري في هذه البقعة البالغة الاهمية من العالم . ويذكر آراء المستشرقين في آثار جبل طارق ، التي بنيت فيه من قديم ، وبقيت حوله ، وفي نهاية البحث يذكر مختلف مصادره عن موضوعه .

وهذا العمل مثال طيب لخدمة الادب للبحوث العلمية ، ومحاولته في التبسيط المحبب ، والعرض الجذاب ، وهو يجمع بين خدمة التاريخ والجغرافيا والثقافة عامة ، ولو اتيح لابنائنا وشبابنا سلسلة مبسطة كهذا النوع في التاريخ العربي الاسلامي ، وفي وصف البلدان والدول والشعوب ، لكان لها من النفع ما يعظم به الفائدة ، وتتم به الغاية .

ولقد اتيح لي ان اقرأ البحث ، فعجبت عجبا كبيرا ، لدقة الكاتب المتناهية ، ولامانته في البحث ، ولالمامه بدقائق ما كتب في هذه المدرسة ، ولاشاراته التاريخية الذكية ، ولارائه التي ضمنها رسالته الصغيرة الحجم الكثيرة الفائدة ، وهذه الاراء عديدة منوعة تجدها امامك في كل صفحة من صفحات الموضوع .

ولقد اضاف الرفاعي جديدا الى معارفنا عن البلدان والمواقع والمواضع المشهورة ، ذات التاريخ القديم ، فضلا عن ان التاريخ العربي الاسلامي لجبل طارق مفخرة من مفاخر اجدادنا المسلمين في الاندلس ، وما ألذ ان يعاود الكتاب الكتابة عن الاندلس وتاريخنا الحضاري فيها خلال ثمانية قرون (٩٢ هـ ـ ٨٩٧ هـ) .

ولقد احببت ما كتبه الرفاعي عن جبل طارق ، وقرأته مرة بعد مرة ، وصاحبته وصاحبني شهرا من الزمان ، دون ان ادري سر ذلك : أهو أن تاريخ هذا الجبل يتصل بتاريخ أجدادنا في الاندلس ، أم انه الحب والتقدير لعمل أجدادنا الحضاري في مختلف انحاء العالم ، أم انه التقدير للتاريخ المظلوم لاجدادنا في اسبانيا ، أم انه الرغبة في أن أقول للمؤلف : ماذا يعني هذا البحث وقراءته ، وفي أن أقول للشباب: ماذا يقصد أديب من أدبائنا الكبار بالكتابة في مثل هذا الموضوع الجليل النبيل والكبير الخطير ؟ .

ومهما كان فاني أهمس في أذن الرفاعي وأقول له : ان تاريخ أجدادك العرب الميامين الذي رسمت صورة منه في هذا البحث ، والذي ابنت عن صلته وصلتهم بهذا الموقع ، وبالتاريخ الحضاري للانسانية عامة ، لخليق به أن يشكر لك هذه العناية المأثورة المبرورة ،

---

(١) هكذا نقلت من كتاب الاستاذ الانصاري الذي أقدمه اليوم ، وفي صفحة ١٥٦ من كتابي « الادب العربي الحديث ومدارسه » أن الكاظمي ولد في الخامس عشر من شعبان عام ١٢٨٧ هـ التاسع والعشرين من تشرين الاول من عام ١٨٧٠ م. ـ وراجع ترجمة الكاظمي في كتابي المذكور (ص ١٥٦ ـ ١٦٣) . (٢) راجع « الادب العربي الحديث ومدارسه » ، و « مذاهب الادب » ، وهما بقلم كاتب هذه السطور ، وكذلك الجزء الخامس من كتاب « قصة الادب في مصر » له أيضا .

(٣) ذكر الانصاري في كتابه في فصل طويل قيم (من ص ٥٣ ـ ٦٢ من كتابه) ، ويستدل برأي ـ فارس الخوري الذي سجله مؤلف كتاب « فارس الخوري وايام لا تنسى » ص ٣٠٢ ـ ٣١٨ لمؤلفه محمد الفرحاني .

وتلك المحمدة المذكورة المشكورة ، وما أحب ان تقرأ تاريخنا العربي المشرق ، وأعمال اجدادنا الاولين ، مكتوبة في كتاب أو مصورة في قصة ، او ممثلة في مسرحية ، او مذاعة في اذاعيات صغيرة ، وما أجدرنا بان نفعل ذلك دائما ، وبان ندع آثار آبائنا مرسومة في عقولنا وقلوبنا ابدا . ونؤكد للعالم المتحضر ان هذا العالم المتحضر لولا العرب ومآثرهم وجلائل أعمالهم لم يكن شيئا مذكورا .

الرياض **محمد عبد المنعم خفاجي**

•

الماء في حياتنا وتراثنا

تأليف عبد القادر عياش - القسم الاول والثاني - سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات - طبع في دير الزور بسورية

هذا كتاب رائع حقا من أطرف ما الف الاستاذ الصديق عبد القادر عياش وان كانت كتبه جميعها على كثرتها طريفة ومبتكرة ، ولكن المؤلف في هذا الكتاب تدفق كالماء المعين من الينبوع الصافي المتفجر ، وتفنن بالكتابة عن كلمة الماء لغويا وما يتصل بها من الفاظ وتعابير ومعان واسماء للاماكن والاعلام والاواني . فبين ما جمعته المعاجم والكتب اللغوية الموثوق بها من كلمات في هذا الباب . وهذه الدراسة تستغرق مدة طويلة من الزمن فتتطلب فكرا نيرا وذكاء متوقدا . وهذه هي بعض التعابير اللطيفة التي ذكرها : ماء الشباب وماء الصبابة وماء الصبا وماء الشوق وماء النعيم وماء الحسن وماء الندى وماء الوجه وماء الحياء وماء الملام وماء البكاء . ويستدرك عليه ماء العتاب وماء العين وماء الحجا وماء المعالي وماء الجود وماء الحياة واني اورد بعض الامثلة الشعرية على هذه التعابير الجميلة .

قال عمر بن أبي ربيعة :

وهي مكنونة تحير منها في أديم الخدين ماء الشباب

وقال :

والدمع للشوق متباع فما ذكرت الا ترقرق ماء العين وانسكبا

وقال ابو تمام :

لا تسقني ماء الملام فانني صب قد استعذبت ماء بكائي

وقال :

وعلى عارضيه ماء الندى الجا ري وماء الحجا وماء الشباب

وقال :

محمد بن حميد أخلقت رممه أريق ماء المعالي اذ أريق دمه

وقال البحتري :

ووجه رق ماء الجود منه على العرنين والخد الاسيل

وقال :

على ماء الدموع يخمد نارا من جوى الحب أو يبل غليلا

وقال :

لم يرو من ماء الشباب ولا انجلت ذهبية الصبوات عن أيامه

وقال بشار بن برد :

ماء الصبابة نار الشوق تحدره فهل سمعتم بماء خاف من نار

وقال عنترة :

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أطيب منزل

وقال احد الشعراء :

تبدت بوجه ناعم ذي ملاحة ترقرق ماء الحسن فيه فاشرقا

وقال اخر :

منعمة بعيش مستطاب تدفق حوله ماء النعيم

وقال اخر :

فحر الشوق يظمئني وماء الحب يرويني

وقال اخر :

وقلت لها أحبك يا فتاتي فلاح بوجهها ماء الحياء

وقد اورد المؤلف اسماء كتب لها علاقة بالماء مثل « لا بحر في بيروت » وهو مجموعة قصص للاديبة الكاتبة غادة السمان . و « نداء المجاديف» للشاعر المهجري شفيق معلوف . و « من أغاني المطر » للشاعر منذر لطفي . و « البحر لا ماء فيه » للقاص الليبي أحمد ابراهيم الفقيه ويذكرني اسم الكتاب الاخير بقول أمير البيان شكيب أرسلان في مقالة له : « جمعية الامم كالعروض بحر بلا ماء » وقد توفق بهذا التشبيه كل التوفيق ومعلوم ان واضع علم العروض الخليل بن أحمد الفراهيدي جمع أوزان الشعر وحصرها في خمسة عشر بحرا وزاد عليها الاخفش بحرا اخر هو المتدارك .

وتحدث المؤلف عن ارتباط الانسان بالماء ارتباطا وثيقا منذ بدء الخليقة ، لان الماء أساس الحياة للانسان والحيوان والنبات . قال تعالى : « وجعلنا من الماء كل شيء حي » ولذلك فان البشر كانوا يتحرون عن مواضع المياه وينزلون ويبنون قربها ، وقد حفروا الاقنية لجرها ثم عمدوا الى تصفيتها وتوزيعها وتنظيمها ، كما فكروا بتحلية مياه البحار . وذكر ان كمية من الماء في جسم الانسان البالغ تبلغ سبعة وستين في المئة وفي جسم الطفل سبعة وتسعين في المئة .

وتكلم عن أهمية الماء في توليد الكهرباء وتسيير المصانع وما له من تأثير في الاقتصاد والحضارة وقال ان سبعة وتسعين من المياه موجودة في المحيطات ويقدر حجمها بنحو (١٣٥٠) مليون كيلو متر مكعب وان ما يسقط من الماء يقدر بمئة الف كيلو متر مكعب وهو يزيد كثيرا عما يحتاجه الناس .

كما تحدث عن البحار والبحيرات والانهار والابار والينابيع والجداول والشلالات والبرك والمستنقعات . وذكر تقديس الشعوب القديمة للماء وعبادته وما بني عليه من اساطير وما نوهت به الكتب الدينية ، وعد أسماء مياه كثيرة كانت معروفة لقبائل عربية ، ولم يذكر جفر الهباءة وهو ماء لبني فزارة جرت عنده معركة بينهم وبين بني عبس اذ تراهن قيس بن زهير العبسي وحذيفة بن بدر الفزاري على سباق خيلهم وللاول داحس والغبراء وللثاني الخطار والحنفاء ، وقد حال رجال حذيفة دون سبق داحس وذلك بامساكه وكان المجلي ثم تركوه فجاء مصليا بعد الغبراء ، فلطمهما بنو فزارة وصدوهما عن الشرب من البركة كما هو الاتفاق في السباق ، فطالب قيس باعطائه ما تراهنوا عليه وهو عشرون من الابل فأبى حذيفة وطالب العبسيون باعطائهم بعض ما تراهنوا عليه ، فأبى الفزاريون ثم طالبوهم باعطائهم جزورا لاطعام أهل الماء فأبوا فمضى قيس غاضبا وقال في أبيات :

كما لاقيت من حمل بن بدر واخوته على ذات الاصاد

هم فخروا علي بغير فخر وذادوا دون غايته جوادي

ثم أغار على بني فزارة فقتل عوف بن بدر ، وقتل الفزاريون مالك بن زهير أخذا للثار ، وهكذا نشبت الحرب بين القبيلتين ، وقتل قرواش بن هني حذيفة بن بدر وفي ذلك يقول قيس بن زهير :

تعلم أن خير الناس ميت على جفر الهباءة لا يريم

ولولا ظلمه ما زلت ابكي عليه الدهر ما طلع النجوم

وقد تكلم المؤلف في القسم الثاني من كتابه القيم عن الالهة الوثنية المعبودة قديما وعن ربات المياه والغابات وحورياتها . وتطرق لذكر الحور في القرآن الكريم وسقاية الحاج ، والسدود وفوائدها ، وخص بالذكر سد الفرات العظيم ، ولم ينوه بالسد العالي في مصر .

ثم عرض ما قيل من الشعر العربي في الماء قديما وحديثا عرضا

بارعا وسرد ما قيل في الماء من نوادر وفكاهات وتحدث عن الحدائق الجميلة التي لا يمكن انشاؤها الا بتنظيم ريها . كما تحدث عن الاحواض والنافورات وعما يحصل على الماء من نزاع وقتال ، وعما يحدث فيه من جرائيم تشكل خطرا على الانسان . وتكلم عن التخطيط المائي في سورية وسرد ما لابناء الفرات من لهجات في تسمية الماء والاواني التي يشربون فيها وبعضها فصيح . كما تحدث عن الابار في وادي الفرات والسباحة في نهر الفرات وعن بعض المعتقدات والحكايات لابنائه في الماء وعن اغانيهم وأمثالهم به .

والخلاصة ان كتاب الماء في حياتنا وتراثنا كتاب نفيس وطريف ، يستحق مؤلفه الاكبار على مجهوده الكبير الذي بذله في ترتيبه وتبويبه وتصنيفه .

جبلة ـ سورية　　　　رشاد علي أديب

•

غربيون في بلاد العرب

ترجمة ـ سليمان موسى ـ ٢٩٦ صفحة ـ منشورات دائرة الثقافة والفنون ، وزارة الثقافة والاعلام في عمان

ذلك هو اسم الكتاب الذي الفه وترجمه الاستاذ سليمان موسى . ولا تستغرب ان اقول تاليفا وترجمة ، فان الاستاذ قرأ لكثيرين من الرحالين والكتاب الاجانب ، واختار فصولا . كما تخير من تلك الكتب ما رأى اننا بحاجة الى الاطلاع عليه .

ولعلك تستغرب أن تجد تعريفا بكتاب ، لان هذا يجري على غير العادة التي اتبعها الادباء واتبعتها الصحافة في الاردن . فان هؤلاء واولئك يلتزمون الصمت ، وأصبح المؤلف واثقا ان كتابه سيقبع في زاوية ، لا يزعجه احد . وهذا التعريف لا يهدف الى ترويج الكتاب ، فقد اتخذ سبيله الى أيدي القراء . ولا ريب ان أي مؤلف يبتغي ان يبين وجهة نظر ، ويحب أن يعرفها الى الناس ، ليقبلوها او ليرفضوها كليا او جزئيا ، ولكن في حالة الاغفال لا يجد صدى لصوته . ومن هنا فانه يحس بانه لم يقدم ولم يؤخر ، ولم يتقدم ولم يتاخر . وأحب أن لا تقول لي اننا الان مشغولون عن كل شيء بالمصير ، فاننا منذ صدور وعد بلفور المجرم كنا كذلك نفكر . ومع ذلك فقد كان الناس يتعرفون الى اثار المؤلفين ، ويحتفلون بها عن طريق النقد والتقريظ والرواج أيضا .

ولعلك تريدني ان أبين أسباب السكوت عن الاثار الفكرية وان افند هذه العادة . وانا احب ان أفعل ، لكني في سبيل التحدث عن كتاب الاستاذ سليمان موسى ، فليس يصح أن أنصرف الى غيره ، والا كنت أجري مع اولئك الذين يصمتون ، او اولئك الذين اذا كتبوا يبينون انهم يتكرمون بالكلام عما بين ايديهم .

كل هذه المقدمة استدعاها هذا الكتاب المثقف المسلي باسلوب ممتع يرتفع عن الاناقة التي تذهب بجمال السياق ، ويبتعد عن الترجمة المتزمتة التي تهدف الى الدقة ، فتذهب ببهاء الفكرة ، وتنأى بالحذلقة عن الدقة . فانت تقرأ وتنسى نفسك في القراءة ، لانك مغتبط تشعر انك تصاحب انسانا تسرك صحبته ، وهو يقصد ان يسرك بلباقة وأنس .

وانا أحب ان اقول ان الترجمة بوجه عام ، ليست وقفا على الامم الناشئة ، بل ان الامم المتقدمة تنقل الى لغتها روائع الامم الاخرى . ولم تصبح المعرفة الانسانية عالمية الا بفضل الترجمة . والمترجم اذا استطاع ان يجيد وينفذ الى روح ما يشغله ، فانه يستحق كل تقدير ، وكذلك الاستاذ سليمان موسى .

ولكن من هم هؤلاء الغربيون الذين جاءوا الى بلادنا ؟ انهم كثيرون ، زاروا الاردن او عملوا فيه منذ القرن التاسع عشر الى الثلث الاول من هذا العصر ، وممن عاشوا وعملوا كركبرايد وعبد الله فلبي وجرترود بل . ولهؤلاء واولئك خبرات ووجهات نظر وسرد حقائق ، كما رأوها من خلال أمزجتهم ، وقد توافقنا وقد لا توافقنا . نحن اذن نجد آراءهم مبسوطة ، بقلم انسان عاش في ما كتبوه زمنا طويلا ، وتمرس بافكارهم ومراميهم ، وعانى في تلك الصحبة فجاءنا بخبرته الفنية ، وعرفنا الى كثير من مراميهم . ولا ريب ان هذا يحتاج الى صبر ومعاناة ، والى نفاذ الفكر ومعرفة بفنون القول في الانكليزية والعربية . وهو لذلك كله يعرفنا بتاريخ بلادنا من خلال كلام هؤلاء الذين شاهدوا وساهموا . وهو لذلك يستحق الثناء لانه أتاح لنا أن نتناول من مائدته الشهية . فانت تقبل عليها مسرورا ، تاخذ ما تشاء . وانا موقن ان ما تجده من المتعة يجذبك حتى تستوفي .

عمان ـ الاردن　　　　حسني فريز

•

يوم عاد أبي

مجموعة قصص ـ تاليف رشاد دارغوث ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات بيت الحكمة ببيروت ـ مطابع دار غندور ببيروت

اذا كانت القصة ارقى فنون الادب ، فقد اصبحت قصتنا اللبنانية ـ تحت اقلام الموهوبين من الادباء ، قصة انسانية ، عالمية .

ففي هذه العشر الاقصوصات (يوم عاد ابي ، القلوب الكبيرة ، اضواء المدينة ، خلافات محببة ، حينما تصدق الرؤيا ، كنوز لا تنفد ، محاولة ، معلمي الاول ، حتى الرمق الاخير ، من أجل جلدة ممزقة) يبدع الكاتب ابداعا لم نتلمس مثله الا في روائع القصص العالمي ، الكلاسيكي والمعاصر .

نقول هذا لا تقريظا لكاتب ما برح منذ اكثر من ثلث قرن يتحف المكتبة العربية بنتاجه المستمر . حتى اعتبره محمود تيمور رائد القصة في مصر ، رائدا للقصة في لبنان . كما اعتبره الاديب العراقي الكبير جعفر الخليلي ، في كتابه « القصة العراقية » رائد القصة العربية على الاطلاق . بل نقوله لاننا نحن الذين تتلمذنا على الاديب رشاد دارغوث ـ في الثلث الاول من هذا القرن ، ما برحنا نشعر حينما نقرأه انه من شباب هذا الثلث الثالث من القرن العشرين في روحه ، واساليبه المتجددة ، وقصصه المنتزعة من صميم واقعنا ، على حد تعبير الناقد الكبير المرحوم مارون عبود .

وبالفعل فان هذه القصص العشر من نتاج سنوات مختلفة . تبدو احداث الزمان في الثلاثينات والاربعينات حتى الستينات ، من خلال صورها ، وحركات ابطالها ، ومشاهد الحياة التي تصورها ، لم تبرح نابضة بالحيوية ، مفصحة بأحاسيس الاحياء ، ومشاعر الناس ، امثالنا ، من العمال ، والطلاب ، من الاباء والابناء والامهات ، من التجار والساسة والنواب وسائر الطبقة التي تحكم لبنان وتحكم في غير لبنان . فيبلور قلم الاديب روحها ، ومطامحها ، واطماعها ، واخلاقها ، ما حسن منها وما قبح ، فتتلمسها بيدك كما تتلمس الذهب والبلور ، او التراب والخزف .

ان لروح السخرية التي تسيطر على أقاصيص الاستاذ دارغوث ، وقصصه الطويلة ، ورواياته ، منذ اصدر « خطيئة الشيخ » عام ١٩٣٦ حتى صدرت هذه المجموعة في منشورات دار الحكمة في نهاية ١٩٦٩ ،

روح بناءة ، تدغدغ ولا تجرح ، تحفز ولا تؤلم . سخرية أشبه بما وجدناه عند برنارد شو الايرلندي او الجاحظ العربي او ما نجده في كل نتاج عبقري يهدف الى اصلاح الفرد ، واصلاح المجتمع .

وقد قال الدكتور طه حسين في بعض مؤلفات صديقه المؤلف ، عام ١٩٤٤ مخاطبا اياه : « انت رفيق قارئك لا معلمه ، وهذا اسمى ما يطمح اليه الاديب ! » .

وقد سألنا اديبنا صاحب « يوم عاد ابي » وعشرات غيره ، لماذا لا يلجأ الى الدعاية التي تلهي الكثيرين عن الانتاج السليم ، البناء ، فقال بتواضعه المعروف :

ـ انا لست اديبا ... محترفا ! انني اعمل ، منذ أمسكت بالقلم، لبناء وطني واعداد ابنائي وابناء الامة ، وذلك عمل صامت لا يحتاج الى الصخب والدعاوات !

ولكننا ، برغم ذلك نعتقد ان استاذنا الكبير ، بعزوفه عن تلك الدعاوات وعدم استثماره الكتاب تجاريا ، انما يقصر في واجبه نفسه، واجب الاديب المربي الذي يصنع الفرد ، ويبني الوطن والامة !

ونرجو ان يكون لاذاعة لبنان سهم في الاستفادة من مؤلفات هذا الاديب الكبير فتترجمها الى حلقات اذاعية ، سواء ما كان منها للكبار او للاحداث كما تفعل الاذاعات الاجنبية من لندن الى الكويت وتونس وليبيا ، وايطاليا .

وكذلك ان يكون للتليفزيون اللبناني قسط مماثل في الاستفادة من طاقات هذا الاديب الموهوب وبيانه المشرق ولغته التي بوأته جميعها مكان الصدارة ، منذ عام ١٩٣٨ كما يقول مارون عبود في كتابه «على الطائر» وهو يقيّم مسرحيته الخالدة « سيعودون » الصادرة عام١٩٥٧ والمستمدة من حنين المغترب ، واللاجيء ، والمشرد ، الى تراب الوطن ، وهو حنين أقوى من الحب ، وأخلد من ... الحيـاة !

كما نرجو ان يجد الشبان من طلاب وعمال ومثقفين ، والشابات من طالبات وامهات ، غذاء دسما في هذه المجموعة الجديدة من قصص الاديب دارغوث الذي ترجمت روائعه الى الفرنسية ، والروسية ـ والاوزبكستانية فضلا عن الانكليزية وسواها ، من اللغات الحية .

سليم المدرس

•

صدى الصمت

ديوان شعر بالفرنسية ـ لجان شكيب الخوري ـ ١٠٠ صفحة ـ طبعة « فوكاردوكولان » بجينيف ١٩٦٩ في مجموعة « أزاهير وأفكار » للاثار الابداعيـة

لست أشك ، في نفسي ، بانني ميال الى الكلام على دواوين الشعر الفرنسي ميلي للكتابة عن دواوين الشعر العربي ، اذ كنت اقول ـ على الدوام ـ بأن الشعر ليس مقصورا على لغة بذاتها ، فاللغة قالبه الذي يسكب فيه ، وأما المعاني والافكار ومجال التأملات فهي لا تحد ولا ياتي عليها حصر . وعندي أن معاني الشعر تناصي المطور العبقة وشذى الرياحين ، وضروب الازاهير في الوانها وتفانين أشكالها الروائع مشبهة للقوالب الشعرية وأوزان القريض .

وقد كثر ما كتبت فيه من التحليل والنقد للشعر الفرنسي الذي يكتبه ابناء العروبة ، ففي « الاديب » الاغر كتبت مرارا عن دواوين الشعر الفرنسي التي اتحفني بها صديقي الفيلسوف الدكتور عبدالعزيز الحبابي عميد كلية الاداب والعلوم الانسانية بالرباط ، ثم غدا استاذا زائرا لكلية الاداب بالجزائر مع احتفاظه بعمادته السابقة احتفاظا شرفيا ، كما كتبت اول من كتب ، عن ديوان الشاعرة الشابة الحسناء « هدى » كريمة صديقي القديم الاستاذ البير اديب في ديوانها وقد وسمت ديوانها باسم « بارانتيز » أي جملة معترضة ، أو بين قلامتين .

واليوم يشوقني أن اتكلم على ديوان طريف من أروع ما وقع عليه نظري في مجموعات الشعر الفرنسي للادباء العرب ، وهو ديوان «صدى الصمت » للشاعر النابغة « جان شكيب الخوري » الذي جاءني ـ وانا بانتظار اللقاء به ـ الى مقهى « قوسموز » بباب ادريس ببيروت ، ولم أكن رأيته عيانا بعد ان أهدى الي ديوانه السابق الذي سماه «ذكريات الغد » ومن الجميل المطرف ان الشاعر المبدع جان الخوري موفق في تسمية اثاره بما يغري ويشوق التأمل فكيف تكون للغد ذكريات والغد لم يدمر علينا بعد ، فنحن كما عودنا الزمن نحتفظ بذكريات الماضي وطوابع الحاضر واما الغد فمسدل عليه الستار .

حين دمر علي الشاعر جان خوري ، وانا بذلك المقهى ، تحت عشية من عشايا بيروت ، وقد عودت نفسي الركون اليه لاشاهد من وراء زجاجه مارة الدرب واتذكر في تاريخ الفلسفة الاغريقية « كهف أفلاطون » اذ كان يشبه هذه المشاهد بمن يكمن في الكهف ليرى مرور الدنيا امامه .

ومرت بي الدنيا بخيرها وشرها ، وتعاقبت أمام ناظري بجمالها ورونقها وترامت حول خيالي وافكاري صورها الفنية بالفن والوصف والتأمل ، مر كل ذلك امامي في هذا الديوان الذي خصني شاعره بنسخة من الطبعة المترفة تحمل الرقم (٨٢) فاخذت أنظر اليها والى الشاعر نفسه ، فأراه وأرى أثره امامي على الخوان ، فاذا الشاعر غرانق في ميعة الصبا ، واما ديوانه فخيل الي ، بالقياس الى ديوانه السالف ، أنه أمعن في العمر وتمرس بالتجاريب ، وما اجمل عندي من اثار الشباب التي تحتوي على اختمار الفكر وثقابة الراي ورهافة الشعور ، بما يتحلى به الشيوخ ، ورحت اذكر شيخ الشعراء اسماعيل صبري حيث ترجم بين الشعر الفرنسي ، بقوله :

أواه لو علم الشباب ... وآه لو قدر المشيب

فاتيح لي في لمحة واحدة ان ارى علم الشباب وقدرة المشيب في آن ، ممثلين في شخص صديقي الشاعر الشاب جان خوري .

واني سأحذو في كلامي على ديوانه حذوي فيما أسلفت من الكتابة عن الدواوين الفرنسية للشعراء العرب ، فانقل الى لغة الضاد قطعة بشعري للشاعر الخوري في ديوانه هذا الجديد .

ان قصيدة « ندى الايام » طويلة ومثلها قصيدة « ظل الايام » تذكرانني بمقاطيع كنت أكب عليها ، وانا شاب ، في دواوين صاحبي فيكتور هوغو وبخاصة في ديوانه العظيم « اساطير القرون » فلأنقل الى العربية اذن ، طرفا من القصيدة الاولى في ديوان «صدى الصمت» المسماة بهذا الاسم . وما يكون للصمت صدى الا هواجس النفوس ونجوى الارواح ، وقد أهداها الشاعر الى السيد « مارسيل جيرار » :

فيم أراني ورقة ... مفصولة من شجره
قرات امامي ، أو من ... الغصن الخفي الثمره

فيم أراني كالندا ... المجهول في مد الصدى
مثل ارتجاف شجر ... محطم رهن الردى

فيم أراني ضعف سر ... وحياتي مثل كهف
في سواد مطبق بفشاه ... نور رهن ضعف

ألقت الي السانحات ... لواحظي منذ النظر
وهي التي قد فصلت ... حجري على أرض البشر
وبحكم مجهول رأيت ... الدرب في كف القدر
قرن الظلال بقامتي ... ووقى عصاي من الحفر

بحب قرائي في « الاديب » الاغر هذا المقدار من نقلي للعربية شعر الشاعر العفوي المطبوع جان شكيب خوري الذي تموج خواطره بنوازع فلسفية مما وراء الطبيعة وان قصيدته الاولى هذه التي سمى بها ديوانه نقلتني الى جواء « الفريد دوموسيه » في لياليه وخاصة ليلة آب .

والغريب في شعر الاستاذ جان خوري انه مندور النزعة الغرامية مجلبب بأبراد الروحانية الشفافة ، على انه وهو في ميعة الصبا وشرخ الشباب ينبغي له ان يحلق في آفاق الحب واعيذ جناحيه من المهيض .

وهو اذ يقعد عن نزعة الغرام العنيف للمرأة بحب موطنه العظيم « لبنان » بما يشوق ويفوق ، حتى كدت اسميه « شاعر هوى لبنان » .

قلت لوالده الجليل الدكتور شكيب ولامه الفضلى التي سميتها بالمريمية : لقد أعطيتما بابنكما الشاعر النابغ منحة انسانية لا تقدر بأثمان جعلتني اقول :

قل (للشكيب) لقد أبدعت انسانا   تفيض أشعاره روحا وريحانا
أنت الحكيم الذي قد صاغ حكمته   شعرا فراح به في الدهر مزدانا
وقل لزوجته المثلى أتيت لنا   بنابغ يملأ الاكوان عرفانا
وافاكما الله في (جان) العزيز على   عيشوا به في ظلال السعد أزمانا
هناءة العرب فيمن كان شاعرها   ففن « لبنان » آيات وألحانا

دمشق   زكي المحاسني

•

عبير من دمشق

ديوان شعر ـ عدنان مردم بك ـ ٢٠٨ صفحات ـ منشورات عويدات ـ بيروت

الشعر العربي السوري اليوم على أفق جديد ، تجلوه قرائح الشعراء ، وتزينه نهارات جديدة من تجاربهم الخصبة المتجددة والمتنوعة ، فتضيفها خبرات ومكتسبات في أرث الادب العربي السوري الحديث ، خبرته وتطوره ..

وأجمل نهارات اليوم الشعرية ، والحق أقول ، ليست تلك البدوات الجريئة في تطوير الشعر العربي السوري ، والتي يستلهمها المجددون المتحررون من الفترة ، او البيئة ، أو النفوس ، ممن نحب ، ونقدر ، متابعين أنتاجهم ، دارسين له ..

ولكن اجملها اليوم في الحقيقة ، هي ممارسات المطبوعين المحافظين من شعرائنا العرب السوريين ، الذين لا يزالون مع أساليبهم وعموديتهم ، يطيعونها للحياة والواقع .

وذلك أن ممارسات هؤلاء المطبوعين السلفيين ، ولنقل المحافظين ، محاولات صدق ، وبساطة في التعبير ، والذي يخضعون له كافة الموضوعات الحديثة ، في حين ان اولئك المجددين ، المتحررين من الارث ، قد يصيبون هدفا في قصيدة ، ويخطئونه في أخرى ، وقد يرضى عنهم قارىء ، بله جمهور ، وقد لا يرضى ..

وتجد الشاعر عدنان مردم بك ، أقدر هؤلاء المحافظين على السبك الجزل والمتين ، ناهيك بأنه متمرس على الشعر المسرحي التاريخي ، والذهني ، نشر فيه الى الان ما يعتبر غررا شعرية مسرحية ..

ومن النهارات الجديدة الحلوة ، في الشعر العربي السوري اليوم ، تلك التي طلع علينا بها ديوان « عبير من دمشق » كانون الثاني ١٩٧٠ ، للشاعر الكبير عدنان مردم بك ، وهو الديوان الثالث له بعد « نجوى » ١٩٥٦ ، ثم « صفحة ذكرى » ١٩٦١ ، وهي دواوين شعرية ثلاثة ظلت تتحلى بميزة الاصالة السلفية ، في المحافظة على عمود الشعر العربي وأساليبه ، رغم أنها كلها تصرف القول الشعري في موضوعات مختلفة غزلية ووصفية واجتماعية وتأملية وحماسية ، وغيرها ..

عنوان الديوان « عبير من دمشق » شيء صميمي وجذاب حقا ، يسترعي الانتباه ويستدر الحب .. بحيث ان القارىء او السامع ، لمجرد قراءته او بسماعه ، يجذبهما الى دمشق ألف خيط وخيط ، يستطلعان اخبارها ، بل سحرها ، وهي المدينة الخالدة ، اقدم المدن المعمورة على الارض ! .

وكم يكون فرح القارىء ، والسامع كبيرا ، عندما يجد بالفعل أن الديوان سجل من جمال دمشق ، ومفاخرها ، وغوطتها وانهارها ، ومشاهد من الحياة فيها ، الفنية او الشعبية ، كما سنرى ! .

ولا غرو ان يكلف الشاعر الكبير عدنان مردم بك ، بدمشق ، ومطرحاتها ومشاهد من حياتها ، فهي مسقط راسه ، ومسرح صباه ، وأريحيته ووطنيته ... ومن هنا جاء تخصيص الكلام ، والقول الشعري في دمشق موفقا صائبا ، لانه في نظرنا صادق أصيل ، ومطبوع غير متكلف وغير متعسف ..

وقد قسم الشاعر عدنان مردم بك الديوان الى ستة اقسام وفاتحة ، جعلها للكتاب في شعر تأملي عن الله . وهذه الاقسام هي على التتالي : من كنوز بلادي ، وصف الطبيعة ، المعذبون في الارض ، صور فنية ، وتأملات ، وصفحات من التاريخ ... وكلها متماسكة يشد بعضها بعضا ، وتدور حول دمشق ، أو حول وحي من وحي دمشق في العروبة ، والحرية والحق والكرامة ..

والعادة ان تؤخذ تسمية الديوان من عنوان قصيدة في الديوان ، وهنا لا قصيدة في الديوان تحمل عنوان : عبير من دمشق ، واذن ، العنوان مأخوذ من مجموع تجربة الديوان ، ككل ، وهو كما رأينا في غالبيته عن دمشق ، ومشاهدها ... فبماذا نفسر هذا الاتجاه في التاليف الشعري ؟! ..

هل هو وصف واقعي لمفاتن دمشق ، ومشاهدها ؟
أم هو تشبيب وجداني بدمشق ، وأمجادها ؟ .
أم هو انسانية تفرف من موضوع محلي سحرها ولآلاءها ؟

وفي الحقيقة ، قد تكون تجمعت عند الشاعر عدنان مردم بك قصائد وصفية ، مختلفة عن دمشق ، اغرته بعنوان واحد شامل ..

الا ان هذه القصائد المتنوعة ، وكل منها يحمل في الديوان تاريخه منذ عام ١٩٦٠ ، حتى ١٩٦٨ ، هي بالفعل ثمرة العاملين الاساسيين في هذا الشعر الجميل : حس الوصف الواقعي ، وحب دمشق حتى الوجد والتشبيب ..

وانسانية الشاعر عدنان مردم بك في هذا الديوان ظاهرة ، تهتم بالانسان ، وتحدب عليه ، وهي انسانية فاضلة ، مريدة حدسية تعاطفية ..

الله سوى بين الورى بنوازع الاجل : (ص ١٧ الديوان)

سويت حين قضيت عن قدر   بين الورى بنوازع الاجل
وقهرت بالموت العباد فما   حي نجا من جائح العلل

ومثل ذلك كثير في الديوان ولك ان تعود الى الصفحات ١٧و١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٧ لترى عمن تتناوله مشاكل الكون ولغز الحياة .

وفي الجانب السياسي من هذا الشعر ، والذي تناول بالوصف والتفنيد نكبة حزيران ١٩٦٧ ، واحتلال القدس ، ومرتفعات الجولان ، نجد بالفعل الروح الانسانية للشاعر صادقة نيرة تذكر عيوبها وعيوب قومها ، حتى لا تفشهم بكذب القول ..

ورغم ان القصيدتين ، أندلس الشرق ، والثغور السليبة تضمان أجود أوصاف الجهاد الحديث : (ص ١٩١ الديوان) .

وعصابة لما أهاب بجمعها   داعي الجهاد تقاطرت تستشهد
يتبسمون الى المنون ودونهم   قتم المنية بالاذى يتلبد

أو يقـول : (ص ١٩٧)

في ذمة المجد المنيـف عصابـة　　درجوا بمدرجـة الجهـاد وقاموا
لـم تثنهـم اوجاعهم عـن واجب　　أن الكـرام على الصعاب كـرام
جـادوا على زبر الحديد بلحمهم　　كرمـا وهـم دون الحديد صيـام

الا ان فيهمـا صادق الوصف للاستخذاء ، وصادق التبريـر والنصح : (ص ٩١٣) .

عرف العـدو طريقـه فتوحـدت　　غاياتـه فيمـا يـروم ويقصـد
وتفرقـت أهواؤنـا وتشعبـت　　آراؤنـا بددا وحـار المرشـد

أو يقـول : (ص ١٩٨)

نمتم كاهل الكهـف ملء جفونكـم　　وعدوكـم كالسقـم ليس ينـام
غرتكـم الاحـلام حينـا والهـوى　　أعمى يفـر ، ويخـدع الاحـلام

ولذلك صح تقريره ان الحق للاقوى : (ص ١٩٠)

الحـق للاقـوى وليس لعـاجـز　　دون الذئـاب على الضراوة مسعد
لا عيش للجبنـاء في قيـد الاذى　　عيش الجبـان على الزمان منكـد

وبالاجمال ، عندما وصف الشاعر عدنان مردم بك مشـاهد مـن الحياة الاجتماعية الدمشقية ، كان رحيما ، بل شفوقا ، بـل متشائما أيضـا :

« بائع العرقسوس » ألف الفقر والاذى : (ص ٩١ الديوان)

ألـف الاذى وضـراوة الفقـر　　في عيشـه المشبـوب بالمـر
تلقـاه مبتسـمـا ومـن عجـب　　أشجانـه مـلء الحشا تغري ..

ولذلك يرثي لحظه :

يروي حزازات الصدى حدبـا　　أيـامـه بالمبلـغ النـزر ..

و « شواء الذرة » معذب مكدود : (ص ٩٦)

صحب الاذى دهـرا لتسعد صبية　　ويزود عنهـا جـائحـا يتوعـد
واها لـه مـا كان أوجع عيشـه　　وأمـر مـورده الـذي يسترفـد

و « الحطاب » في حرمان : (ص ١٠٣)

أيـامـه مشـبـوبـة بضـرام　　مـن لاعـج الحرمـان والاسقام
وفـؤاده كـرة تقاذفهـا الاسـى　　بيـد الهـوى وهواجس الاوهـام
يمنـاه عـالقـة بسـاعد فـاسـه　　كالنسر أنشـب مخلبـا بقطـام
يطـوي على الحرمـان كفا خضبت　　أطرافهـا وبنانهـا بقتـام ..

و « الحمـال » في عذاب : (ص ١٠٩)

وهو كالدهـر لا ينـوخ بـأرض　　مستقـرا ركـابـه ، او رغـابـه
يـذرع الارض دائبـا بخطـاه　　دون جدوى فيستجـد عـذابـه

ولذلك هو ينعتهم بالمعذبين في الارض .. وقد يكون لهم سعادتهم، وهناءاتهم الا أن شاعرية عدنان مردم بك ، وانسانيته لم تتساهل فـي حالهم ، وقطعت في بؤسهم ، وعذابهم ..

والجدير قبل ان ننتقل الى أوصاف مشاهد فنية وشعبية اخرى من دمشق ، أن ننوه بالفعل بالنظرة المتشائمة عند عدنان مردم بـك ، نتيجة العبثية ، والحيرة ، ان صح القول ، وان الشر فـي المجتمع والنفوس : (ص ١٥٣)

ما نرجـي والمجـد محض افـتراء　　بعد طول الجهـاد غـير العنـاء
نقطـع العمـر خابطين حيـارى　　دون جـدوى جريـا مـع الاهواء
ونشيد الحصون حرصـا ، ونبني　　زائفـا كالهبـاء فـوق الهبـاء

مـا نرجـي وكـل شـيء ريـاء　　مـن حيـاة تقنعـت بريـاء
عكسـت منطـق الامـور فتهنـا　　فـي عبـاب الضـلال والاهـواء
وخبطنـا بـدامسي كسكـارى　　فتنتهـم حرافـة الصهبـاء

ولذلك صار يرى ، في كل بيت ، مأساة : (ص ١٥٦)

في القصر ما في الكوخ من أوصاب　　كـدر الحيـاة مقـدر بكتـاب

ثم يقول :

وأرى بعين هواجسي ما بهرجت　　مـن بـاطـل اطماعهـم وكذاب
سطرت مآسيهـم على حجراتهم　　بسهام اقـدار جـرت وحـراب

او يقول في أذى الناس للناس : (ص ١١٨)

اجـد الصخر كان ألين قلبـا　　من بني الناس ، والسوائم أهدى
رب صخـر تفجـر المـاء منـه　　فشفـى لاعجـا واطفأ وجـدا
ومـرد الاحقـاد والسوء قلـب　　لـم يكن دهره عن السوء يهـدأ

وفي المشاهد الشـعبية ، والفنيـة عدنان مردم بك وصاف ، ومتعاطف ، اذن ، يصف الواقع ، ويتعاطف معه ، يشفق ويسترحم ، وأحيانا ينصح فيه أو يعظ ، فمثلا أثر وصف « لاعـب السـيرك » ، يقـول : (ص ١١٨)

ليس بدعا اذا امرؤ ركب الهول　　اضطرارا لـدرء ما هـو اردى
عزيـز علـى الكريـم خنـوع　　رب مـوت مـن المذلة اجـدى

ويقول في « العازف العجوز » : (ص ١٢٩)

هتف الحشـد للعجـوز وزاغـت　　نظـرات مـن روعـة الانغـام
سألوه المزيـد ، فـأعجب لقـوم　　يستميحـون طـائلا مـن حطـام
هـم بالعـزف جاهـدا فثنتـه　　عـن مـرام لـواعج الاسقـام

ويقول في « ندوة القصاص » : (ص ١٢٠)

ارجت بانفاس المحـدث نـدوة　　عصفـت بسمار لهـا وصحـاب
حـرمت مـن الاثواب فهي فقيرة　　فـي عريهـا من مئزر وثيـاب
وتجلببـت بقنـاعـة وتعفـف　　سـترت خصائصهـا بألف نقـاب
خلـع الوقـار على ذراها مطرفا　　مـن سؤدد لـم ينتقص بمعـاب
عريـت فزيـدت في النفوس مهابة　　كالسيف عريانا بغيـر قـراب

وفي القصيدة يتعاطف الشاعر مع القصص نفسها فيصفهـا : (ص ١٢٣) .

غزوات عنتـرة الفـوارس حيـة　　كالدهـر ليس شبابهـا لتبـاب
وغرامه شرف الرجولـة لم يشن　　يومـا بشائبـة وسـوء معـاب
مـا كنت تـدري قلبه ام سيفـه　　أمضـى وانفـذ فتكة برقـاب

وبسبب هذا العاطف مع بعض الموضوعات ، والوجد الظاهر الـذي يرفده جعل قصائد « من كنوز بـلادي » هـي التي تتعلق بدمشق ، مطرحاتها ، غوطتها ، ربوتها ، سفح دمر ، أزقتها الخ .. في حين جعل قصائد « وصف الطبيعة » حيادية لا ذكر لدمشق فيها ، والفارق بين

وعين هذه المسحة الوجدانية التعاطفية ، التي نجدها تطبع القصائد الاولى ، في حين القصائد الاخرى وصفية موضوعية بلا حرى ..

أزقة دمشق القديمة بالنسبة اليه ذكريات ولواعج وسير الجدود وبطولات : (ص ٢٧)

فـاذا ارى التاريخ قيد يد ... ومواكب الاجداد تحتشد

وغوطة دمشق جنة لا تغلق ابوابها للوافدين ، الذين يتدفقون بشوق نحوها : (ص ٣١)

وازاءها ماض يشوق كتابه ... فيه الفخار مدبج ومنمق

وبردى تروي انغامه وتعاد : (ص ٣٨)

تجد السفح على مزماره ... حن من وجد وللوجد اتقاد
بعث الغابر حيا فازدهت ... بالسمادير سفوح ووهاد
واذا الماضي كتاب جامع ... لمروءات وللجرح ضماد

الا اننا على الحالين نجد في كلا النوعين تسقط الواقع ، وتقري التصوير لذات الوصف .. حتى ليكاد القاريء امام الصور المحتشدة ، الحسية او المعنوية المحسوسة او المعقولة ، يلمس المشهد الموصوف ، مثلا يصف انهار دمشق عند الربوة : (ص ٢٤) .

انهارها نثرت مبعثرة ... من دونها وتواكبت تجري
وكانها الاقدار حين جرت ... وتدفقت بالنائل الغمر

ويقول في شجر الحور عند سفح دمر : (ص ٣٧)

وجرى النهر على اقدامها ... لينا سمحا ، وللموج انقياد
تجد الماء ترامى جاثيا ... كصريع الوجد أضواه السهاد

ويصف الشمس في الخريف : (ص ٨٤)

الشمس ما بين الغمام ... تطل شاحبة نحيله
وتدير عينا كحلت ... بلواعج الغصص الوبيله
أضواؤها من رقة ... رقصت كاشباح هزيله
وشعاعها شاع السقام ... به ولم تنفعه حيله
فهوى يدب كعاجز ... أزرى به عبء الكلال

وختاما ، فان تجربة « عبير من دمشق » للشاعر الكبير عدنان مردم بك ، في موضوعها الوحد عن دمشق ، مطرحاتها ومشاهدها ، تجربة شيقة ونيرة ، صادقة واصيلة ، في شعرنا العربي السوري الحديث ..

وقد اتحفنا صاحبها بالاوصاف الفنية المختلفة ، وهي وصف للوصف رفيع وناجح ومتقن ، كما اتحفنا بالانسانية الفاضلة التي شملت الكون والمجتمع .. كما ملأت قلوبنا حبا بالوطن والمواطن ، وحبا بمثل الفخار والمجد والكرامة .. والى اللقاء في ديوان مقبل ..

دمشق — عدنان بن ذريل

•

ديوان ابن الدهان الموصلي

تحقيق عبد الله الجبوري ـ ٢٨٠ صفحة ـ ساعدت وزارة التربية العراقية على نشره ـ مطبعة المعارف ببغداد

للامة العربية تراث زاهر .. ذو اصالة كريمة ومكانة عظيمة وان هذا التراث يمنح الامة عطاء ضخما فهو جدير بان يعنى به عناية غالية ويدرس باهتمام بالغ . ولكم يبهجنا ما يقوم به لفيف من الادباء والمفكرين من جهد مشكور وعمل متواصل لاحياء هذا التراث الذي يضم كنوزا فكرية خلاقة ويعكس لنا صورا من الحياة الادبية والعلمية في عهود بعيدة . فيبرز في العراق ومصر وسوريا ولبنان وفي معظم الاقطار العربية شباب واعي حريص على اداء رسالته الملقاة على عاتقه وهي خدمة التراث ورعايته بجد واخلاص وكتب التراث كثيرة لا يسعنا ان نتحدث عنها بهذا الفرض السريع الموجز .

فقد حقق لنا الدارسون الافاضل من كتب التراث ما يتجاوز الحصر والعد . ومن النماذج التي نعرض اليها ، ديوان ابن الدهان الموصلي المتوفي سنة ٥٨١ للهجرة . وقد حققه الاستاذ البارع والاديب اللامع السيد عبد الله الجبوري . ودرس الشاعر والديوان دراسة موضوعية مستوعبة ، وقد عودنا الجبوري على مثل هذا الجهود الرائع بكتبه القيمة التي اتحف بها المكتبة العربية . والديوان الذي نتحدث عنه يعبر عن شاعرية فذة ذات اسلوب كلاسيكي رفيع واطار بديع جزل المعنى بهي الصورة موسيقي اللفظ .

وهو يقع في (٢٨٠) صفحة من القطع الكبير وقد صنع له الاستاذ المحقق مقدمة ضافية تحدث فيها عن ابن الدهان . مشيرا الى الذين لقبوا بهذا اللقب « ابن الدهان » . ومترجما لصاحب الديوان ترجمة وافية ذاكرا الاراء التي وردت فيه مع بيان الدافع الذي حفزه على القيام بنشر هذا الديوان ...

وبعد هذا التمهيد الجميل نقف على قصائد الديوان ، واول ما تطالعنا فيه قصيدة مطلعها :

أعلمت بعدك وقفتي بالاجرع ... ورضى طلولك عن دموعي الهمع

وهذه القصيدة تربو على الخمسين بيتا في مدح القائد العربي صلاح الدين الايوبي ثم يردفها بأربع قصائد اخرى بمدحه ايضا .

ولعل وجود هذه القصائد في مقدمة الديوان تلهمنا وحيا يبصرنا كيف تحررت القدس بالامس من أيدي الصليبيين ، وكيف تستصرخ اليوم القائد العربي الذي ينبض في عروقه دم صلاح الدين ليخلصها من الدخلاء الآثمين . كما خلصت بالامس من ايدي الصليبيين و « عسى ان لا تفنى الايام بصلاح جديد ينقذ الامة ويطهر القدس ، والليالي حبالى » .

ثم تأتي قصائد الديوان وهي ما بين مديح ورثاء لبعض الشخصيات التي عاصرها الشاعر وربما وردت أبيات تغزل الشاعر بها ، وهي نزر يسير .

والجدير بالذكر ان الاخ الجبوري يتمتع بحثه بموضوعية تامة . فهو يحقق النصوص بدقة ، شارحا لها الشروح الضرورية الكافية .

وحين يقف على بعض النصوص التي اضطربت فيها اثار جملة او كلمة فانه لا يتصرف بالنص ولا يضيع على القاريء رأيه ونظره .. فانه يضع نقطا على الغوامض من الكلمات . هكذا (....)

وما ذلك ببعيد على السيد الجبوري ، فله من رهافة الحس ، والذوق والاناة في البحث ما يجعله ذا شخصية موضوعية . وان قراءه يشهدون معي بهذا السمت وبهذه السمة ، التي قل ان يتسم بها المحققون . فكثير منهم يتصرف بالنص تصرفا مقيتا قد يفقد فيه النص دلالته .. او تذهب الدراسة الجادة ادراج الرياح ، كما وقد اثبت المحقق تكملة للديوان لم تكن موجودة في النسخة الاصلية وانما استخرجها من بطون الكتب . واختتم كتابه بفهارس عامة لاسماء المصادر والمراجع ، والاعلام ، والامكنة ، والبقاع ، والقوافي ، مع استدراكات مهمة اضافت الى تحقيق الديوان جهدا مشكورا .

وبعد ، فالديوان الذي بين ايدينا ، وان كان يعبر عن روح شاعر ينزع الى العصر القديم ويستقر شعره على ارض هاجر عنها الشعراء المحدثون ، الا ان انتشاله من ايدي التلف والضياع واصداره الى عالم النور بطبعه يفتح ابواب الثناء لمن اجهد نفسه في اخراجه .. واصداره ...

تحية اكبار وتقدير للاخ الجبوري الذي ضم الى مكتبة التراث الادبي كتابا (جديدا) لا يستغنى عنه . وشكرا على هديته التي اتحفنا بها .

النجف الاشرف — محمد رضا آل صادق